دولة اللواء

كريم نور

رواية



دار اكتب للنشر والتوزيع

دولة اللواء

دولة اللواء

كريم نور

تصميم الغلاف :

رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢٢١٨

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ١٢٩- ٧

دار اكتب للنشر والتوزيع

OKTOB.NET

الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة .

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨

E – mail :daroktob١@yahoo.com

Facebook : دار أكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الثانيه ، ٢٠١٢م

أقبل من أول الردهة في قصر الحكم ضابط برتبة صغيرة، حديث التخرج، واثق من خطواته وخلفه أربع جنود يمشون في خطى متناسقة. دق الضابط بيده القوية أربع دقات على الباب الكبير، المكون من جزئين، عليهم نقوش ذهبية، تحمل شعار الدولة، مع زخارف لم يستطع الضابط التركيز بها، نظرا لجلال الموقف. لم يكن الشاب وجنوده خائفين، إنما كانو يشعرون بأنهم داخل مشهد تاريخي، سوف يكون له تبعات، يأملون أن تكون إيجابية.

داخل الغرفة الفسيحة، يقبع اللواء.. رجل ضخم الجثة، يرتدي بزة عسكرية، لم يحكم أزرارها بعد. شعره الأبيض أشعث، حافي القدمين، واضح عليه أثر الإجهاد وقلة النوم، نظراته زائغة، يقف وراءه خادمه علوان، الفتى الذي أرسله له أبوه من قريته، التي تقع في أقصى جنوب البلاد، منذ زمن بعيد.. بعيد جدا، والذي سرعان ما عينه اللواء اللبيس الخاص به. لم يعد علوان فتى، إنما أصبح كهلًا أشيب الشعر، محني الظهر، يرتدي عوينات سميكة. نظر اللواء إلى علوان، محاولا أن يتذكر عندما كان ضابطا صغيرا في سلاح البحر، يسكن شقة أقل من متواضعة، في حي شعبي في ضواحي عاصمة

البلاد، وجاءه علوان يرتدي ملابسًا بالية، ويحمل حوائجه القليلة في قطعة قماش لا لون لها، وممسكا بخطاب من أبي اللواء. علوان، الذي كان حتى البارحة يعد من أقوى الشخصيات في البلاد، لم يكون يُرفض له طلب من أي كان، من أول رئيس الوزراء أو حكام الأقاليم، حتى القضاة، كانوا يخشون بطشه، حتى صار أبناء قرية علوان -التي هي بالطبع مسقط رأس اللواء- يسيطرون على الصناعة والتجارة والوظائف الحكومية المهمة، وخصوصا السلك الدبلوماسي والعلاقات الخارجية، مع إنهم معروفون في أنحاء البلاد بالغرور والعنجهية، ناهيك عن الكسل والعناد الشديد.

يجلس اللواء في جناحه الخاص، على مقعد وثير، إنما لا يشعر بالراحة بل يشعر بدوار شديد وألم في قدمه، وبتسارع ضربات قلبه. يقف علوان خلفه، يبكي بصوت مكتوم، مما أثار أعصاب اللواء، الذي قام متثاقلا من على مقعده، وحدج علوان بنظرة قاسية، فتوقف عن البكاء، وأخذ يجفف دموعه، وتوجه مثل روبوت نحو خزانة الملابس الواسعة، التي بها على الأقل أكثر من ٥٠٠ بذلة من جميع الماركات والأشكال، غير العدد الهائل من الأحذية والملابس، التي تناسب جميع الأجواء والمناسبات، غير الساعات والعوينات الشمسية، بدون أن تجد عوينات تساعد على القراءة، لأن اللواء لم يكن يستخدمها، رغم عمره المتقدم، غير المعلوم للشعب.. البعض يقول إنه في التسعينات، ويروج بعض الخبثاء أنه تجاوز المائة، ولا يستخدم عوينات للقراءة، لأنه يكره القراءة والمطالعة، ولأن الخطب، التي يقرأها على الهواء في المناسبات الوطنية، تكتب من قبل وزير التوجيه بالبنط العريض جدا جدا، قد تكون كل جملة في صفحة.

خرج علوان من خزانة الملابس الواسعة بوجه عابس، حاملا بقية ملابس اللواء وحذاءه الأبيض، ليتماشى مع بزة البحر، المزينة بأوسمة. ونظر ناحية الباب، الذي يقف خلفه الضابط حديث التخرج وجنوده الأربعة، وصاح:

- سوف يخرج اللواء بعد ٥ دقائق.

تذكر اللواء، عندما سمع علوان يصيح، يعلن خروجه، كيف كان علوان يزعق بصوته الجهوري، معلنا وصول اللواء إلى حجرة الاجتماعات في قصر الحكم، فيقف جميع من في القاعة الكبيرة، مثل التلاميذ في حضرة الناظر المهاب، يرتعد بعضهم ويكاد يغشى على البعض الآخر، واللواء يضحك في سره. أو عندما ينظر إلى أحد الحضور نظرات عدم رضا، فيبدأ العرق الغزير في التصبب من المسكين، وتبدأ شفته السفلى في الارتعاش. طالما تعجب اللواء من سبب ارتعاش الشفاة السفلى دائما وليس العلوية.. والمتعة الكبرى، عندما يطلب من أحد المسئولين أن يبقى بعد الاجتماع، ليتكلم معه على انفراد في مكتبه، ويتركه جالسًا أمامه لخمس دقائق أو أكثر، يشغل فيها نفسه بأي شيء.. قد يرسم بط وأوز في ورقة بيضاء أمامه، أو يسرح في حلم يقظة، غالبا ما يكون جنسي بحت.

يبدأ اللواء في تحسس مسدسه، الذي لا يفارقه أبدا حتى في سفره إلى جميع أنحاء العالم، فيبدأ المسئول الضحية في الصلاة بصوت مسموع، أو يبول على نفسه، مثلما حدث مع أحد الوزراء منذ فترة بعيدة.. ووجد اللواء صعوبة في تذكر اسم الوزير أو حقيبته، مع إنه ما زال في الحكومة حتى البارحة .

هل يعدمونني اليوم، أو يحاكمونني محاكمة سريعة، ثم يعلنون وفاتي بأزمة قلبية؟

تساءل اللواء في سره..

أو على الأكيد سوف يتدخل السيد، ويحبط هذه الثورة اللعينة.. أكيد أكيد أكيد.

قالها اللواء بصوت مسموع.

انتهى اللواء، بمساعدة علوان، من ارتداء البدلة كاملة. ووقف علوان في مواجهته، وأخذ في استعدال وضع الأوسمة والنياشين، التي تزين البذلة، مع إن كل الحروب التي خاضها اللواء، وتقلد فيها هذه الأوسمة، منيت فيها البلاد بهزائم مذلة، عندما كان ضابطًا، أو حين تسلم سدة الحكم ،منذ أمد طويل جدا جدا.

بدأ اللواء في تجميع نشاطه، ونصب قامته، وتحسس جانبه، وتساءل بصوت عالٍ:

- أين سلاحي؟

ثم نظر إلى علوان، الذي اتجه بنظره للأرض، فهز اللواء رأسه علامة على التفهم الممزوج بأسى شديد، ثم جلس على مقعد بجوار خزانة الأحذية. ووجد علوان صعوبة في إلباسه الحذاء، لأن قدمه كانت متورمة وتؤلمه بشدة. ثم مد اللواء يده لعلوان، الذي ساعده على الوقوف، واتجها إلى باب الجناح، فسبق علوان مسرعا، وفتح الباب. لكن هذه المرة، لم يصح صيحته الجهرية بقدوم اللواء.

في السيارة الميكروباص السوداء، جلس اللواء، وبجانبه رجال القوات الخاصة، المدججين بالسلاح، وجلس الضابط بجانب السائق،

وأمره بالانطلاق. حاول اللواء النظر من النافذة، لكن الستائر السوداء منعته من تبين الطريق، أو معرفة أي شيء عن وجهته.

أغلب الظن إنهم سيأخذونني للصحراء، ويطلقون النار عليّ، ثم يلقون بجثتي للذئاب والطيور الجارحة. أين السيد؟ لن يسمح السيد بهذا العبث.. سوف ينقذني في الوقت المناسب طبعا، بدون شك.

قالها اللواء بصوت مسموع، مما دفع الضابط إلى النظر إليه من فوق كتفه، وسرعان ما شخص ببصره ناحية السائق، وأمره بالإسراع.

أخذ اللواء يتذكر ما حدث البارحة. كان كل شيء يسير بصورة طبيعية. استيقظ على صوت مي وتي مدلكاته الآسيويات، وقامتا بعمل مساج الصباح له بكل حنية، ثم قادتاه إلى الحمام، حيث يوجد المغطس الكبير، المليء بالماء الدافئ والعطور المنعشة، وخلعتا ملابسهن وأخذتا تدلكان جسمه الممتليء بكريمات ومساحيق مخصوصة، وهو يضحك ويداعب جسميهما الصغيرين بمجون .

خرج اللواء من الحمام، يرتدي (بورنوس)، على صدره شعار الدولة، موشى بالذهب، فوجد علوان اللبيس في انتظاره وأعلمه بوجود ميشو حلاقه الخاص في انتظاره في صالون الجناح الكبير. توجه اللواء ناحية الشرفة، ليجلس على مقعد أعده له علوان، يطل على الحديقة الخلفية، وأمامه طاولة عليها أنواع عديدة من الفاكهة الطازجة والنادرة.

هرول ميشو، بشعره الكانييش، وقميصه المشجر، المفتوح ليبرز سلاسلا ذهبية، مع بنطاله الأبيض، وحذائه البني اللامع، وصاح:

– صباح الفل على أعظم وأقوى لواء في الدنيا.

لم يعيره اللواء اهتماما، إنما أشار بيده إلى فرج، الحارس الشخصي، الذي لا يفارق اللواء أبدا، ويتبعه مثل ظله، ومستعد دائما أن يفتك بأي شخص، يشك أن في نيته إيذاء اللواء. وكم من المرات أطلق الرصاص على أفراد من الشعب، حاولوا أن يقتربوا من اللواء لتحيته أو اعطائه خطابا فيه مظلمة.. أرداهم فرج قتلى في لمح البصر، بمسدسه سريع الطلقات، الذي يبرع في استخدامه.

وشرع ميشو في تهذيب شعر اللواء وحلاقه ذقنه. رغم أن ميشو حلاق اللواء منذ زمن طويل، إلا في هذا اليوم بالذات، فلتت يد ميشو وهو يمسك بالموس، وخدش ذقن اللواء خدشا بسيطا، أسال دمًا قليلا من وجه اللواء، فلم يشعر ميشو ألا وفرج يعاجله بصفعة قوية على مؤخرة رأسه، أفقدته توازنه، وأمسك منه الموسى، وركله ركلة شديدة بقدمه على مؤخرته، وأمسكه من شعره بيد، ومن قميصه المشجر بيد أخرى، وألقاه من الشرفة، فطار ميشو، وسقط سقطة مدوية في الحديقة، حيث تقبع كلاب اللواء المدربة على افتراس أي شيء يسقط من الشرفة، سواء كان وزيرا أو طبيبا أو ضابطا برتبة كبيرا، أو فتاة عذراء. آخرهم كان قاضيا، لأنه تجرأ وحكم حكما لم يعجب اللواء، وقال كلاما اعتبره اللواء سخيفا، عن استقلال القضاء والعدل. والطامة الكبرى، عندما استشهد القاضي

بآيات قرآنية، فلم يتمالك اللواء غضبه، وأشار لعطوان بإلقاء القاضي من الشرفة .

في نفس الوقت، أحضر علوان موسى جديدة، وطهر مكان الجرح، وأكمل حلاقة للواء بكل هدوء. لكن اللواء تشاءم من هذا الحدث، وشعر بكآبة شديدة، خاصة وهو يسمع صوت ميشو في الحديقة، يصرخ صراخا هيستيريا من الألم والفزع، طالبا الرحمة.

فرغ اللواء من الحلاقة، وسأل علوان إذا كان يوجد أي ارتباطات مهمة اليوم، لأنه لا يريد فعل شيء اليوم. فأجاب علوان أن اليوم هو موعد احتفال التخرج من كلية الحرب السنوي. فأومأ اللواء برأسه، طالبا من علوان أن يجهز بزة الحرب ليرتديها، بعد أن يأخذ الحقنة، التي كان طبيبه الخاص يقف مستعدا بها منذ ساعات على باب الجناح. فأدخله فرج، وأسلم اللواء مؤخرته للطبيب، الذي حقنه بالخليط اليومي، من أحدث ما توصل له العلم من مقويات ومعادن، لتجديد الخلايا. شعر بعدها اللواء بطاقة عظيمة، وعلى استعداد ليوم جديد، وطلب من علوان أن يأتيه الليلة بعذراء جديدة. لكنه كان محتارا ماذا يريدها أن ترتدي.. هل يطلب من علوان أن تجعلها ترتدي زي بحار، الذي يفضله، أم راعي بقر، أم رائد فضاء.. فلم يجرب من قبل مع فتاة في هذا الزي.. وضعته كل هذه الأفكار في مزاج أفضل.

انطلق الموكب من بوابة القصر، أمامه مدرعة خفيفة، ثم عشرين سيارة سوداء كبيرة، من نفس نوع سيارة اللواء، للتمويه. تتبعهم سيارة إسعاف، تحيط بهم عشر ناقلات جنود، من قوة حرس اللواء الخاص، المدربين في الغرب، ومسلحين على أعلى مستوى، ويدينون بولاء تام للواء، ويأتمرون بأمره، ويراعي في إختيارهم أن يكونوا

أيتام، لا أهل لهم، وألا يكونوا من أقاربه أو من بلدته، ويحصلون على امتيازات فوق الوصف.

مضى الموكب من قصر الحكم، الذي يقع أعلى هضبة كبيرة، على مشارف عاصمة الدولة، صمم القصر أشهر مهندسين في الغرب، وبه مخبأ يستطيع الصمود في حالة القصف بالسلاح النووي، وقاعدة دفاع جوي، وثكنات لحرس اللواء، وغرفة عمليات عسكرية، ومستشفى على أحدث مستوى، ومطبخ مجهز لخدمة أكثر من ألفي ضيف، علاوة على مطار تحط فيه طائرات اللواء الكبيرة والصغيرة وطائرات الضيوف. يحيط بالقصر بحيرة، وغابة بمساحة شاسعة، مليئة بغزلان وطيور نادرة، هذا غير حمامات السباحة الداخلية والخارجية.

في السنوات الأخيرة، أصبح اللواء يغادر القصر نادرا، وأصبح يحكم البلاد من جناحه الكبير.

كالعادة، اصطف طلبة المدارس على جانبي الطريق من قصر الحكم إلى كلية الحرب، منذ الصباح الباكر، يحملون صور اللواء وعلم الدولة، وطول الطريق، الذي يبلغ ١٠ كيلومترات فقط، امتلأ عن آخره بأفراد جهاز الأمن والمخبرين السريين، علاوة عن تعطل المرور في العاصمة، حتى في الشوارع التي لا يمر منها موكب اللواء.

اقترب الموكب من مدخل كلية الحرب، حيث يقف شامخا تمثال من البرونز الخالص، يبلغ طوله أكثر من ٥٠ مترا، ومكتوب على قاعدته بالذهب الخالص، دمت لنا يا قائدنا الملهم المحبوب، مع تحية أبنائك طلاب كلية الحرب، نحن فدائك .لكن اللواء شعر بكآبة

وتشاؤم، عندما لمح على حذاء التمثال خراء الحمام، والتفت إلى علوان، الجالس بجوار السائق قائلا:

– ذكرني أن أنزل رتبة وزير الحرب إلى عسكري أول، وينقل إلى أبعد نقطه حدودية بعد الحفل.

ولج اللواء إلى الصالة الواسعة، المليئة بصوره في كلية الحرب، حيث وجد الوزراء وكبار رجال الدولة، وضباط من كافة أفرع الجيش في انتظاره منذ ساعات، واستقبله وزير الحرب بالتحية العسكرية وابتسامة مرحبة.. فنظر اللواء له بعدم اهتمام، ووجه بصره لعلوان، وابتسم ابتسامة طفولية، كمن يذكره بالقرار الذي اتخذه منذ قليل. لكن علوان لم يكن بحاجة للتذكر، خاصة لو كان القرار فيه ظلم وإهانة لرتبة كبيرة، مثل وزير الحرب، لأنه عاشق للأذى.

بدأ اللواء في مصافحة الموجودين، وفجأة.. قفز أمامه مثل القرد وزير التوجيه القومي صائحا:

– يعيش اللواء محرر الدولة من الاستعمار.

فردد جميع من في القاعة الهتاف بصوت عالٍ، حتى يخيل لك أن حناجرهم سوف تخرج من أفواههم!

يعشق اللواء هذا الهتاف بالذات. مما دفع وزير الإرشاد القومي بترديده مع الحضور لمدة ١٠ دقائق، إلى أن أشار اللواء بيده، علامة على أنه اكتفى. مال اللواء على وزير الإرشاد، وربت على كتفه بأبوة، مما أثار حسد الحضور، وشعر وزير الإرشاد القومي الشاب

بسعادة لا توصف، خاصة أنه في السنوات الأخيرة أصبح الوزير المقرب للواء، حتى إنه انتقل للإقامة في قصر الحكم، ليكون رهن إشارة اللواء، ولم يعر الشائعات انتباها، بأنه مهرج اللواء، ووسيلة تسلية للواء وضيوفه. لكنه فعلا يثير اهتمام اللواء، لخفة دمه وسرعة بديهته، غير إن الوزير سخر كل إمكانيات وزارته، بما تمتلكه من استوديوهات وأجهزة، في جعل اللواء أسطورة حية، بإنتاجه أفلام ومسلسلات وأغاني تمجد في ذكاء وحكمة اللواء، وخاصة طريقته الفريدة في تغطية أخبار اللواء في الصحف والمجلات والراديو والتلفزيون، والإشادة بحكمته التي يحلف بها قادة العالم أجمع، وكيف جنب اللواء البلاد حروبا كثيرة، وأوحى للمواطنين أن بدون اللواء سوف تغرق الدولة في فوضى عارمة، لا يعرف مداها أحد.

***

مع دفعه تقريبا جميع الفنانين والأدباء والصحفيين والشعراء إلى حضن التوجيه القومي، ومن يشتبه بأنه غير مستعد للنفاق للواء، يمنعه من العمل، ولا يجرؤ أحد المنتجين في التعاقد معه.. ثم يشوه سمعته، أو يعتقله بتهمه تعاطي المخدرات، أو الزج به في مستشفي الأمراض العقلية.

ناهيك عن الفيلم ذي الميزانية الضخمة، الذي يشارك فيه جميع الممثلين المحبوبين في الدولة، مع ممثلين عالميين، يحكي قصة حياة اللواء، وكفاحه من أجل البلاد، ويمتلئ الفيلم بالأكاذيب والمغالطات التاريخية في تصويره اللواء بالبطل الأسطوري، الذي لا يقهر، ويقوم بدور اللواء ممثل شاب ذو شعبية كبيرة، ومشهور بأداء المشاهد الخطرة

بنفسه. حاز أحد مشاهده في الفيلم بإعجاب اللواء، عندما قام الشاب البطل بالقفز داخل مركب حربي، يحترق في عرض البحر، لإنقاذ البحارة واحدا تلو الآخر، بطريقه بطولية خالية تماما من الحقيقة.

تسربت من بعض الناس قصة مختلفة عن حريق المركب أيام كان اللواء ضابطا صغيرا في سلاح البحر، ويعمل على مركب حربي في عرض البحر، فدخل المقصف في الفجر، يحاول أن يأكل شيئا، حيث كانت عادته أن يصحو من نومه جوعانا في الفجر، ولازمته هذه العادة حتى الآن، فيرن جرسا بجوار فراشه، فيدخل عليه علوان في غضون ثوانٍ بأطيب الطعام. أما في المركب، فقد أشعل الفرن، ونسى أن يغلقه، فأشعل حريقا في المركب، أودت بحياة طاقمه، وكان هو الناجي الوحيد، لأنه أخذ قارب النجاة، ولم يوقظ أحدا من الطاقم، حتى لا يفتضح أمره، وتقل فرصة في النجاة، لأن الحريق قد تسرب إلى فناطيس الوقود، فانفجرت المركب في ثوانٍ.

في المنصة المطلة على الملعب الكبير، حيث اصطف طلبة الكليات الحربية منذ الصباح الباكر، جلس اللواء على مقعد كبير، يشبه العرش، مزدانا بشعار الدولة المذهب، ومكسوا بالقطيفة، بلون النبيذ الأحمر، وأمامه منضدة من الخشب المذهب والمزخرف، عليها علبة مناديل ذهبية، ومطفأة ذهبية، وكأس من الكريستال ملأه علوان بنفسه من زجاجة يحملها، بماء مستورد خصيصا، من قمم الجليد بجبال الغرب، ويعتبر من أغلى السوائل في العالم. وجلس علوان على الأرض، تحت قدم اللواء، وفي درجه منخفضة أمامه، جلس رجال

الدولة. ومال اللواء برقبته قليلا للوراء، فاطمئن لوجود فرج، حارسه الشخصي، واقفا كالطير الجارح.

ثم وقف بالدرجة المنخفضة وزير الحرب، وأدى التحية العسكرية للواء، وتقدم إلى يمين المنصة، ووقف خلف ميكروفون، وبدأ في إلقاء كلمته، التي استهلها بتحية اللواء وشكره على تشريفه حفل التخرج، رغم مشاغله واهتمامه بأبنائه حديثي التخرج، الذين يعاهدونه بالتضحية بأرواحهم فداء له. ثم أكمل كلمته صائحا أن اللواء لم ينجب أولادا، لأن كل أبناء الدولة أولاده، يحبهم ويعلمهم ويطعمهم ويكسيهم. أن اللواء لم يتزوج، لأن كل نساء الدولة زوجاته، يرعاهم ويحميهم.. ثم أضاف:

– لقد علمنا اللواء قيمة التضحية من أجل الدولة، وإيصال الليل بالنهار للعمل من أجل الدولة والشعب، وخدمته ورفعته.

واستمرت الخطبة على هذا المنوال لأكثر من ساعتين، وفي النهاية زاد وزير الحرب من صياحه المزعج:

– دمت لنا يا لواء يا محبوب قويا وبالروح والدم نفديك يا لواء.

عندها، صاح الحضور مرددين خلفه، ولكن –لأول مرة– لم يصح الطلبة المصطفين في الملعب خلف وزير الحرب..

عندما انتهى كل من في المنصة من الصياح والهتاف، أكثر من ثلاثين دقيقة متواصلة، لكز اللواء علوان بطرف حذائه، فنهض علوان كشاب في العشرين، واقترب برأسه من فم اللواء، الذي سأله لماذا لا يهتف الطلبة، فلم يجب علوان، فتشاءم اللواء، وقال لعلوان:

–   القرار الذي اتخذته في السيارة، بإنزال رتبته من وزير الحرب إلى جندي أول، ونقله إلى أبعد نقطه حدودية لا ينفذ. لقد غيرت رأيي بعد هذه الخطبة المملة، التي نمت وصحوت فيها أكثر من مرة، الخالية من الإبداع.

فابتسم علوان ابتسامة خليعة..

–   لقد قررت أن يتم اعدامه باكر عند الفجر، في هذا الملعب.. وزير حرب لا يهتف طلبته للواء، هو وزير خائن ضعيف أهيف، لا يستحق الحياة يوما واحدا.

فحافظ علوان على ابتسامته؛ لكن تحولت إلى ابتسامة شريرة تملأ وجهه.

شعر اللواء ببلل على رأسه وشعره، فمد يده وخلع الكاب، وملس بكفه على شعره، ونظر إلى أصابعه، فوجدها مليئة بالدم الساخن. نظر خلفه بذعر، فوجد فرج واقفا كتمثال الشمع، ينظر برعب إلى الأمام، وخط أحمر يشبه السلسلة حول رقبته. وسرعان ما انطلق الدم من رقبته كالنافورة. قفز اللواء من على مقعده الوثير، ونظر حوله، فوجد أن أفراد حراسته محاصرين بأعداد تفوقهم من القوات، من جميع الأفرع حديثة التخرج! نظر إلى وزير الحرب، وكبار قادة القوات، فوجدهم غارقين في دمائهم، وجثثهم على الأرض. بحث عن علوان، فوجدوه مربوطا مثل الشاه في انتظار الذبح. حاول الصراخ، فلم يجد صوتا يخرج من حنجرته.. وضع يده في جانبه، محاولا استعمال مسدسه؛ لكن يدًا قوية كانت أسرع منه، وأخرجت المسدس من غمده، وصوبته إلى رأسه.

- يا لواء.. أنت مخلوع.

قالها ضابط شاب، وأضاف:

- أنت متهم بالخيانة العظمي ومعزول من منصبك.

توقف اللواء عن تذكر أحداث البارحة مع توقف السيارة الميكروباص، التي تحمله إلى جهة لا يعلمها. بعد أكثر من أربع ساعات، فتح الضابط الشاب الباب، وترجل من السيارة، وأخذ في تمديد جسمه الممشوق من عناء الطريق، ونظر إلى جنوده، فترجلوا من السيارة. كان اللواء يشعر بآلام شديد في قدمه ومعدته، مع دوار شديد.. غير الرعب المسيطر عليه. لكنه كان يحاول التماسك. خرج اللواء من السيارة، وأخذت عينه برهة للتعود على الضوء، ونظر حوله، فوجد نفسه على البحر، في خليج رملي لا يعرفه، به مرسى خشبي صغير، مربوط عليه يخته الخاص جبار البحار.

دفعه الضابط من كتفه دفعة خفيفة في اتجاه المرسى، فامتثل اللواء، ومشى معهم بصعوبة، حتى صعدوا على متن اليخت الفاخر .

قابلهم القبطان، وهو شاب حديث التخرج، بوجه صارم لا يبتسم. ولم يؤد التحية للواء، وتبادل التحية مع الضابط الشاب، الذي سلمه اللواء، ورفع يده اليمنى أمام صدره، وقال بصوت كالرعد في أذن اللواء:

- عاشت ثورتنا.

مما أثار رجفة في ركب اللواء، الذي مضى متثاقلا إلى جناحه، أملا في بعض الراحة، وحمام ساخن، ووجبة، لأنه لم يعد يستطيع

احتمال ألم جسمه وروحه. جناحه الفاخر، الذي استمتع فيه بالرفاهية، ونساء من جميع الأشكال والألوان، من مدرسة مدام ريتا موردة البنات الخاصة به، التي طالما ادهشته بإمكانات بناهًا، وإجادهم لفنون الغرام والإمتاع، وتمكنهم من الألعاب الجنسية التي لا يتصورها أحد .

نظر اللواء إلى البحر، فلم يرى البارجة الحربية، التي تصاحب فخر البحار، التي يقيم عليها طاقم الحراسة والسكرتارية، مع تجهيزاهما الحديثة من مستشفى جاهز لإجراء أي جراحة دقيقة، وطائره هليكوبتر، وزوارق صيد.

أفاق اللواء على صوت القبطان الحازم، يأمر الجنود بمرافقة اللواء إلى الاسفل، حيث أدخلوه قمرة زنزانة، خلف غرفة الماكينات، وأغلقوها عليه، فوجد نفسه في قمره ٢ متر في ٢ متر، بها لمبة تبعث ضوء خافتا، فوقف مذهولا، شاخصا ببصره ناحية الباب المقفل لمدة غير قليلة، حتى أفاق من الصدمة، فشرع في استكشاف بيته الجديد، فوجد ما يشبه الفراش على جانب الحائط، فاتجه إليه للجلوس، لأن الألم في قدمه فاق احتماله، فجلس، فوجد اللحاف الصوفي رائحته لا تحتمل، ولا يوجد وسادة. لكن الألم كان يعتصره، فخلع حذاءه، وحاول التمدد على الفراش، عسى أن يتخلص من الدوار وألم جسمه. ولم يكمل اللواء ثوانٍ نائما، حتى قام من رقدته، غير محتمل خشونة المرتبة ورائحة اللحاف الصوفي، ووضع يده على رأسه، وشعر بدنو أجله. فزادت نبضات قلبه، حتى خيل إليه أنه يسمعها

بوضوح، مع ألم في معدته، وصعوبه في التنفس حاول اللواء التماسك، وتساءل:

– كيف يحدث هذا؟.. أين السيد.. أين ماريو؟.. أين معلول الثاني.. أين أصدقائي أعضاء نادي العظماء؟ إنه كابوس بلا شك، سوف أصحو منه عاجلا أو آجلا.

بالطبع هذا كابوس. ألم يقل لي السيد افعل ما يحلو لك بشعبك، فأنت الحاكم المطلق، فأنت لا تحكم بل تتحكم، سوف أحميك، سوف أرشدك، ستعيش إلى أرذل العمر بصحة وقوة، مثل شاب في العشرين، سوف يكون معك أموال ومجوهرات وسبائك ذهب تعجز عن إحصائها، سوف تكون الملك المتوج الإله على شعبه، مثل الإله الفرعون رمز القوة والحكمة والثراء

شعر بآلام أسفل معدته.. عندها تذكر أنه يرغب في التبول منذ فترة .

قام اللواء من على الفراش بصعوبة بالغة،وتساند على الحائط، وعلى بعد خطوتين، وجد خرم صغير في مواجهة الفراش على الأرض، بجانبه صنبور مياه، فأثار تقززه، واستعد للتبول بفك بنطاله، واستند على الحائط بكلتي يديه، لأنه شعر بالدوار يزيد. لكن بعد برهة، لم يتمكن من التبول، رغم محاولاته اليائسة وشعوره بامتلاء مثانته، فعاد وألقى مؤخرته الكبيرة على الفراش القذر، ولم يهتم بإغلاق سرواله، فظهر كرش عندما فتح أزرار البدله ليتنفس .

شعر برعشة في عينيه، ونظر إلى الحائط، فوجد الباب. فقرر النهوض والخروج فورا من هذه القمرة الزنزانة، وركل مؤخرة كل

من يقابله. وفتح الباب فعلا؛ لكن الضوء كان قويا، لدرجة أنه أضطر لأن يغمض عينيه.. وعندما فتحها، زادت الرعشة في عينيه؛ لكنه ارتبك لأنه وجد نفسه يقف في قاعة كبيرة، مليئة بلواءات يرتدون نياشينًا فوق بزات عسكرية.

تذكر هذا اليوم.. كانت أول حفلة رسمية يحضرها، ممثلا عن وحدته في نادي الضباط في عاصمة الدولة، وكان يشعر بنقص، نظرا لأنه يأتي من الريف من أسرة معدمة، ولم يكن من سكان العاصمة، وأخذ في طمأنة نفسه أن البدلة البيضاء التي يرتديها سوف تخفي وضاعة شأنه، مقارنة بزملائه أبناء العائلات الميسورة.. شعور لازمه دائما، منذ كان طالبًا في كلية البحر.

نظر اللواء إلى مرآة كبيرة على يساره، معلقة على الحائط، فكانت الصورة التي تعكسها تغيب وترجع! دقق النظر، فشاهد نفسه وهو شاب حديث التخرج، يتحدث مع ضابط أقدم منه بدفعتين. كان الضابط طويل القامة، يتكلم بثقة وهدوء، وينظر في عينيه مباشرة، وسأله: هل تحب الوطن؟ فأجاب اللواء بدون تردد: أكيد أحب وطني، وعلى استعداد لتقديم روحي فداء الوطن في أي وقت. فشد الضابط طويل القامة على يده، وابتسم له بمودة ومضى.

كل ما كان يريده اللواء في هذه اللحظة أن يجمع أكبر قدر من المعلومات عن هذا الضابط، الواضح من كلامه أنه بصدد عمل كبير وخطير،وعندها يقوم بإبلاغ قائده أو رئيس المخابرات البحرية شخصيا، وينال الحظوة والترقية، ويتحقق حلمه بأن يتزوج قريبة أحد

كبار الضباط، فتفتح له الأبواب المغلقة. لكن الأحداث تطورت أسرع مما يتصور أحد.. فبعد أقل من أسبوع، كان اللواء يجلس في مكتبه، في القاعدة البحرية الكبيرة.. سمع في المذياع بيان الضباط الثوار، بتحرير البلاد من الحكم الظالم، وبداية عصر جديد، والقبض على الحاكم وأعوانه. فوجئ بضابط أقدم منه يدخل عليه بدون استئذان، يحمل رسالة شفوية من الضابط طويل القامة، قائد الحركة الثورية، يطلب منه الانضمام إلى الثوار، والسيطرة على القاعدة باسم الضباط الثوار، فلم يأخذ وقت طويلا في التفكير، واستل مسدسه، ومشى في الرواق المؤدي إلى مكتب قائد القاعدة، ودفع الباب بقدمه، فوجده مسترخٍ على الأريكة، يستمع إلى اسطوانة غربية ذات لحن هادئ، كأنه في كوكب آخر. كان القائد يحنو عليه كإبن له؛ لكن اللواء كان قرر أن ينضم للجانب المنتصر، وبدون تردد، أفرغ رصاصات مسدسه في صدر قائد القاعدة.

شعر عندها بطاقة جبارة تسيطر عليه، ونشوة عظيمة تأخذه بعيدًا. شعور بالقوة والجبروت، لم يستطع أن يفسره. نظر إلى جثة القائد، والدماء تترف من كل جسمه، وعين الجثة تنظر له باستغراب ودهشة، وقال في قراره نفسه.. "لن يوقفني أحد بعد اليوم" وكانت الطاقة داخله تزداد.

أغمض اللواء عينيه وفتحها، فلم يجد ألا الباب الموصد من الخارج، ونظر حوله، فوجد نفسه داخل القمرة الزنزانة، أمام الثقب الموجود بالأرض، ذو الرائحة المقززة. ارتمى على الفراش ذي الرائحة الكريهة، وبحلق في سقف الغرفة، وتكلم بصوت عال..

- سوف يخرج جبار البحار إلى المياه الإقليمية، ويلقون بي من اليخت، حتى تختفي جثتي إلى الأبد، ولا يستطيع أتباعي وأصدقائي، وشعبي الذي يحبني ويتمنى أن يفديني بروحه أن يعثر عليّ. لكن رجالي في قوات البر والجو والبحر لن يوافقوا على هذا العبث الصبياني. الطلبة والفلاحون والعمال سوف يقلبون الدولة مظاهرات بحثا عني، وإرجاع اللواء المحبوب للسلطة. إنها مسألة وقت.. كلهم يدينون لي بالولاء.. رجالي في الأمن سوف يفتشون عني في كل حارة وزقاق في الدولة. كل ما يجب أن أفعله هو كسب بعض الوقت.. الزعماء أصدقائي أعضاء نادي العظماء يجتمعون الآن مع ماريو، بتعليمات من السيد، الذي بالضرورة يستطيع أن يعرف مكاني. يجب أن أكسب وقت.. الفنانون والشعراء والكتاب يكتبون للشعب عن عظمتي، وكيف ستعم الفوضى البلاد إذا رحلت أنا القائد المحبوب.. أنا صديق أكبر دولة في العالم.. حكام الأقاليم سوف يطالبون بعودتي.. كل الأغاني التي تغني باسمي، كل المدارس والجامعات، التي تحمل اسمي.. كيف يمحون كل هذا في ساعات؟ كيف يتجرأ الأطفال حديثي التخرج على هذا العمل؟ إنه مخطط من الخارج أكيد.. أكيد فعلا هناك بعض الدول الصغيرة تحاول النيل من استقرار دولتي.. لقد اشتروا الضباط.. لقد قبضوا الثمن.

مسألة وقت.. مسألة وقت وأرجع، وأجعل هؤلاء الجرذان عبرة لمن يتجرأ على اللواء.

سوف أحاكمهم محاكمة علنية، وأعدمهم في الميدان الكبير، وأعلق جثثهم حتى تأكلها الطيور الجارحة. جعلته هذه الأفكار يشعر بتحسن طفيف، فقام من الفراش، وحاول التبول للمرة الثانية.. لكن بضع قطرات،وعاد الاحتباس،فأغلق عينيه، وحاول مرة أخرى، مسندا

كلتي يديه على حائط القمرة الزنزانة، ونظر عليهما، فوجدهما متورمتين، فقال:

– سوف أعود أقوى من الأول.. أنا مثل إله الفراعين، الذي عانى من الخيانة، وفقد عينيه، وقطعوا أوصاله؛ لكنه لملم شتات نفسه، وانتقم من كل أعدائه.

جعلته هذه الأفكار قادرًا على التبول، وأحس براحة بعدها، واستلقى على الفراش، ولم يعبأ برائحة الفراش الكريهة، وتمدد وهو يحدوه الأمل في الخلاص من هذه المحنة..

حاول اللواء النوم، متجاهلا الرائحة الفظيعة للفراش، والقمرة الزنزانة عموما. ونظر للسقف، وبدأت الرعشة في عينيه من جديد، وشعر بيد قوية تضغط، مصافحة بدفء على يده اليمنى. أغمض عينيه، فزالت الرعشة؛ لكن خاف أن يفتح عينه، لأن اليد التي تصافحه هي –بلا شك– يد قائد الثورة طويل القامة. ما أتى به إلى هنا؟ ألم يمت منذ زمان بعيد؟ ولم يستطع المقاومة.. فتح عينيه، فرأى قائد الثورة طويل القامة يحتضنه، في وسط مكتب كبير، من الواضح أنه في قصر عظيم، وحولهم ضباط برتب صغيرة...

– أنت الآن برتبة لواء.

قالها قائد الثورة طويل القامة، وهو ينظر في عينيه كعادته، ثم أضاف:

– أنت الآن من الضباط الثوار. سوف تكون مسؤولا عن المخابرات البحرية وسلاح البحر.

ثم تحرك برشاقة، وجلس على رأس طاولة الاجتماعات، ودعا الآخرين للجلوس، وبدأ كلامه بأن أشاد بهم وعملهم العظيم في تحرير البلاد من الرق والاستعمار، وقطع يد الحاكم الفاسد وبطانته، وتطهير البلاد من الإقطاعيين وأصحاب المصالح المشبوهة، وإعلاء كرامة مواطني الدولة. وأعلن عن عزمه أن تكون البلاد من مصاف الدول، وأن نسعى للريادة، ونمد يد المساعدة إلى جميع بلادنا، ثم القارة السمراء، وقيادة الأمة كلها إلى الاستقلال، ومحاربة طمع الغرب في موارد دولنا، واسترجاع كل شبر من أراضي أمتنا المحتلة من أعدائنا، الذين يدعون أنهم أبناء عمنا.

ثم أكمل قائد الثورة طويل القامة، وهو يقول:

– يجب أن نبني بلادنا، التي أنهكها الاستعمار والحكم الفاسد، بمصادرة جميع رؤوس الأموال المحلية والغربية، لنقضي على الظلم الاجتماعي، ويكون الشعب هو المسيطر على رأس المال. يجب أن نصنع ما نلبس، ونزرع ما نأكل.. يجب أن يكون لدينا جيش قوي، حتى لا يتحكم فينا أحد بعد الآن. يجب أن نكون دولة متقدمة في أسرع وقت.. يجب أن نعمل ونكد، حتى نصل إلى هدفنا، وهو تحرير أراضي أمتنا المغتصبة، والتقدم للحاق بالغرب.

عادت الرعشة لعين اللواء، ولم يجد غير سقف القمرة الزنزانة. واعتدل في جلسته، مع شعوره بآلام في رقبته، يصاحبها ألم شديد في معدته، مع رغبة في البكاء. وتكلم بصوت عالٍ، وهو يضع يده على رقبته..

– لماذا تأخرت يا سيد؟ أين أنت؟ لماذا لم يفتح أحد كوماندوز الغرب باب القمرة حتى الآن، ويؤدي لي التحية، ويخرجني من هنا؟.. ألم أكن عند حسن ظنك؟ ألم أنفذ كل التعليمات؟

توقف اللواء عن الكلام، عندما بدأ يشتم رائحة دخان يتذكره جيدا. هذا الدخان من سجائر كانت لا تفارق فم نائب قائد الثورة قصير القامة، الذي كان له وجه يشبه الذئب، وشارب صغير يلمع دائمًا، ولا ينظر في عين محدثه أبدا. وملأ الدخان القمرة، حتى عجز اللواء عن التنفس، وزادت ضربات قلبه بسرعة مخيفة، حتى أصبح لا يرى أمامه من الدخان، ولا وجه الذئب عدوه اللدود يظهر، وهو جالس في مكتبه، بعد أول اجتماع مع قائد الثورة طويل القامة، وعرض سيجارة على اللواء، الذي تناولها بمودة وامتنان. كان اللواء يشعر بأنه يعيش أحلى أيام حياته. فالتغيرات الأخيرة كفيلة بنقله وعائلته الفقيرة في القرية إلى خانة علية القوم.

تكلم صاحب الوجه الذئب، وقال:

– يا لواء.. إننا على أعتاب مرحلة تاريخية، وأنت مننا وعلينا في مجلس الثوار.

شعر اللواء بالفرح، لأنه سمع لقبه الجديد لواء.. يا سلام.. كم طرب لوقع اللقب؛ لكنه سرعان ما شعر أن وجه الذئب يشك فيه وفي ولائه للثورة، فهم بالرد، وتأكيد أنه فداء قائد الثورة والثوار. قاطعه النائب قصير القامة وجه الذئب:

– اسمع يا لواء.. أن تأخذ في عين الاعتبار منصبك الجديد، ويجب عليك أن تنتقي أعوانك من أهل الثقة، كما يثق قائد الثورة فيك، رغم قلة خبرتك وكفاءتك لهذا المنصب، لأن الثقة أهم من

الكفاءة في هذه المرحلة الحاسمة. أعداء الثورة، في الداخل والخارج، يعملون ضدنا، ويريدون التخلص منا، ويعملون على القضاء علينا بشتى الطرق.

وابتسم ابتسامة مصطنعة. أكمل وجه الذئب..

– من الليلة سنوفر لك سيارة وسائق وحراسة **٢٤** ساعة، وسوف تغير محل سكنك إلى فيلا أنيقة، من الفلل التي كانت ملك أعوان العهد البائد، وعادت إلى الشعب.

ثم وقف وجه الذئب فجأة، كمن ينهي المقابلة، وصافح اللواء، وأنهى حديثه، وهم متجهون ناحية باب المكتب.

عاشت الثورة وحمى الله قائدنا طويل القامة.

خرج اللواء من عنده، وهو عازم على الإطاحة بالنائب وجه الذئب، والتخلص منه في أقرب فرصة؛ لكن العائق الكبير أنه مثل أخٍ لقائد الثورة، ولا ينفصلان طوال الوقت.

بدأ الدخان في الانحسار، مع تسلل رائحة الفراش الكريهة إلى أنف اللواء، وتذكر عندما دخل الفيلا الفاخرة، ولم يصدق النقلة الكبيرة من الغرفة المتواضعة، ذات الحمام المشترك مع أكثر من **٢٠** جارًا، في أفقر أحياء العاصمة، إلى فيلا وخدم وطاهٍ وحراسة. فبعث في طلب والده للحضور من القرية، ليعيش معه، بعد وفاة زوجته الثالثة، لكن والده توفي بعد يومين فجأة؛ رغم إنه لم يعانِ من أمراض خطيرة في سنه المتقدم نسبيا. وأقام له جنازة كبيرة، لم يكن أحد يتخيل أن كبار رجال الدولة، على رأسهم قائد الثورة طويل القامة،

يتقدم المشيعين، ويقف بجوار اللواء لتلقي العزاء في والده، الذي كان موظفا صغيرا في السكك الحديدية .

قام اللواء، وتمشى في القمرة الضيقة، وأخذ يفكر بصوت مسموع:

– هل يعلنون أني انتحرت بالسم، أم أني أطلقت رصاصة على رأسي، حتى يرتاحون مني؟ يجب أن أجد وسيلة للاتصال بعلوان. أرجو أن يكون أعد خطة، ونسق مع ماريو والشيخ معلول، وبنعامي الصديق العزيز يتابعها، ويضغط على هؤلاء الأطفال، الذين قاموا بحركة الغدر هذه، ومعلول قادر على تدميرهم أو شرائهم، والغرب.. أتمني أن يكون حرك قواته وطائراته للمنطقه للبحث عني وتحريري.

لن يسمح السيد والغرب أن يحكم الدولة شباب مؤمن بالوحدة، ويعادي أبناء العم، ويأتون بالحرية والكرامة للشعب وهذا الكلام الفارغ. ألم يكن هذا حلم قائد الثورة طويل القامة، وانظر كيف انتهى هو وحلمه نهاية مؤسفة.

نهاية مؤسفة!.. تساءل اللواء، وأجاب..

– ألم تكن أنت من قتلته مرتين؟ مرة عندما ساعدت في هزيمته العسكرية المهينة، والمرة الثانية..

لم يكمل، لأنه سمع طرقا شديدا على باب القمرة الزنزانة، والحارس يصيح: اسكت يا خنزير لا نريد جلبة

فقال اللواء في سره، وهو يلقي بمؤخرته الكبيرة على الفراش:

- السيد لم يعد بحاجة إلى خدماتي. لقد فرغ مني، وأصبحت عبئا عليه. سوف يجد بسهولة بين هؤلاء الضباط الثوار الجدد من يبيع روحه له، ويقبض الثمن كما قبضت أنا الإنسان بطبعه شرير وضعيف وعيناه تلمع إذا رأت ذهبا ونفوذا ومالا وجاها ونساءً وعمرا مديدا، كما حدث معي، حتى أصبحت أصدق أني إله. يجب أن أعدم لغبائي، لا لأني حاكم مفترٍ.

رجع الألم في قدمه المتورمة هذه المرة بشدة، مع ازدياد احتباس مثانته، وقلبه بدأ في الدق ببطء، وانخفض ضغط دمه بشدة.

- إذًا حانت ساعتي!

قالها اللواء بندم شديد..

- حانت ساعتي في زنزانة عفنة، في مؤخرة يختي.. يا للخيبة.

لم يعد يشعر االلواء بجسمه.. حاول تحريك يده، لم يفلح. الظلام حوله كثيف.. حاول تحريك قدمه، لم يقابل غير الفشل.

- هل مت أم ماذا؟ كم من الوقت مضى على في هذا الحال؟ هل أنا في طريقي إلى مملكة السيد الأبدية، كما وعدني؟ أم كان الموضوع كله خدعة، حتى أخدمه، وأعيش مثل إله يتحكم في مصائر البلاد والعباد، ثم يلقون بي في الجحيم، حيث أنتمي؟

أخيرا شعر بيد قوية تهزه من كتفه، وسمع صوت اليد تقول:

- من الواضح أنه مات، أو سوف يموت في خلال ساعات. لن يتحمل الرحلة إلى الجزيره، في مجاهل المحيط، التي تقرر نفيه فيها.

فرد على اليد صوت من خارج القمرة الزنزانة..

– ضع الطعام على الأرض، ونعود بعد ساعة. قد يصحو هذا النجس ويأكل. الأوامر واضحة من القبطان: يجب المحافظة عليه، حتى تسليمه في الجزيرة. لا أريد أن أتعرض لمحاكمة عسكرية بسبب هذا الكلب الخائن. هيا يا أخي.

أجابت اليد التي كانت تهزه:

– والله أتمنى أن أطبق بيدي على هذه الرقبة الغليظة وخنقه، وأتخلص منه كما تخلص من زهرة شبابنا ورجالنا في المعتقلات، واستهان بأرواح أبناء الأمة، وأنتقم لروح أخي، طالب الطب الشهيد، الذي قتل على يد زبانيته في مظاهرات أبريل، داخل الجامعة مع زملائه، وجعل أمي تموت بالحسرة على فلذة كبدها.

كان اللواء يتظاهر بالموت أو الغيبوبة من فرط رعبه وخوفه، حتى خرجت اليد، وسمع باب القمرة الزنزانة يغلق. إذًا لن يعدموني.. شعر ببعض الطاقة، وتعودت عينه على الضوء، بعد أن اطمئن أنه لن يعدم.

حاول اللواء الجلوس على الفراش ذي الرائحة الكريهة، ونجح بصعوبة في وضع قدمه المتورمة على الأرض.

كان الموج يتلاعب بجبار البحار، مثل طفل يلعب بمركب صغير أثناء الاستحمام، مما زاد شعوره بالدوار وألم الرأس، الضيف الجديد على جملة آلامه الجسدية والروحية . لكن الجوع كان يقرص أمعائه، وقد سمع الحرس يتكلمون عن وضع الأكل على الأرض، فنظر بجوار

قدمه، فوجد صينية الطعام فعلا على الأرض، ودهش عندما أزال المفرش من عليها، فوجد قطعة لحم شهية، من النوع الذي يفضله، ظلت ساخنة، وطبق من سلطة الخضراوات المتنوعة، وحساء الفطر رائحته تذهب العقل، زائد قطعة من المانجو الطازج، الذي يعشقه. والذي عدل من مزاجه، زجاجة المياه المعدنية، المستوردة من الغرب، وطاقم شوك ومعالق من الفضة الخالصة، ومنديل يحمل شعاره، واسم اليخت موشي بالذهب، كأن الطاهي الخاص بجبار البحار يرغب في تحيته. فزادت الطاقة داخله، وانتفض ووقف كشاب في العشرين، وذهب إلى الصنبور بجوار الثقب المقزز، ليغسل يده، ويبدأ في التهام الطعام.

عاد وهو يشعر بتحسن ملحوظ، وأخذ الصينية من على الأرض، ووضعها على الفراش، ورفع المفرش، ومد يده. لكنه رجع إلى الخلف مصعوقا، كمن رأى حية، أو أصابه مس كهربائي. كان وجهه يعلوه علامات الدهشة والخوف، فأغمض عينه وفتحها، فلم ير في الصينية غير قطعة جبن من نوع رخيص، وقطعة خبز مضى عليها أيام، وطبق صغير به شيء يشبه المربى أو العسل الأسود، وبيضة مسلوقة، التي لا يحب أكلها أبدا، وكانت ممنوع تقديمها في أي مكان يتواجد به، زائد كوب من الماء، لونه يميل للصفار.

ألقي الصينية بما عليها في الهواء، حتى تبعثرت الأطباق على الأرض، واستلقى على الفراش ذي الرائحة الكريهة، وشعر بغيظ وحقد شديد، وتمنى أن يغرق اليخت بمن عليه، الآن وليس بعد دقائق.

نظر إلى يمينه، فوجد منظرًا أثار استغرابه.. وجد ما يشبه نافذة طائرة! فاقترب منها برأسه، وشخص بعينه، فلم ير إلا الظلام الدامس، وسرعان ما ظهرت سحب بيضاء في الظلام، وأمعن النظر، فبدأ يرى أضواء صغيرة، على بعد. ما لبث أن سمع صوت مذيعة، تعلن عن اقترابهم من مدينة الضباب عاصمة الغرب، وترجوهم ربط حزام المقعد. إنها أول مرة يسافر إلى الغرب، بعد تعيينه بقليل وزيرا للبحر ومسئولا عن المخابرات البحرية، عندها أوفده قائد الثورة طويل القامة إلى الغرب، على رأس وفد دبلوماسي، للتفاوض مع الغرب على انسحاب مدمراتهم من قواعده في الدولة، حتى يتسنى للثوار إعلان الاستقلال التام عن الغرب. كان قائد الثورة اختاره هو بالذات، لقلة خبرته وعدم كفاءته للمهمة، بهدف فشلها، حتى يطلق يد الفدائيين في الهجوم على قواعد الغرب في الدولة، وإجبارهم على الانسحاب، بعد أن يتكبدوا خسائرًا فادحة، ويكون أول انتصارات الثوار الحربية.

بالنسبة للواء، كانت هذه الرحلة محور تغيير حياته، وكانت العامل الأساسي، الذي دفعه ليكون الرجل رقم ٢ في الدولة، ثم رقم ١ لسنوات يصعب إحصاؤها، من كثرتها حتى البارحة. هو نفسه عجز عن تذكر كم سنة مضت، منذ سماع الطيار يعلن عن اقترابهم من مطار عاصمة الغرب مدينة الضباب بسلامة الله.

أول ما لفت نظر اللواء في المطار النظافة الشديدة، وشكل الغربيين وأناقتهم، وجمال وبياض نسائهم. وظل طوال الطريق من

المطار للفندق في انبهار بالمباني والحضارة والرقي والتقدم، حتى إنه لم يسمع معظم ما كان يقوله سفير الدولة، الذي كان في استقبالهم، من قسوة الصدمة الحضارية، التي أصابت اللواء منذ وصوله المطار. اصطحب السفير الوفد إلى الفندق الفخم، الذي يطل على النهر، واستأذن في الانصراف، على لقاء في الصباح الباكر، للتوجه إلى قاعة الاجتماعات. تخلص اللواء من حالة الانبهار مؤقتا، واجتمع مع أعضاء الوفد في بهو الفندق الأنيق، وألقى عليهم تعليماته الأمنية والسياسية، وشدد على الالتزام بالمواعيد، ومنعهم من مغادرة الفندق لأي سبب كان، وأصر على أن يلزم الجميع غرفهم بعد العشاء مباشرة، وعدم السهر، وبالطبع عدم التحدث مع أي شخص من خارج الوفد، وإنه أول من سيلتزم بهذا النظام الصارم، وسوف يتأكد بنفسه من تنفيذ الجميع التعليمات بدقة، وذكرهم إنهم يمثلون القائد طويل القامة والثورة، ويجب أن يكونوا واجهة مشرفة للدولة. كان أعضاء الوفد ومسئول العلاقات الخارجية يجلسون أمامه كالتلاميذ، ولم يعترض أحد على التعليمات، كل ما سمعه هو تمام يا لواء، فانشرح، وزاد انشراحه عندما سمع صوتا ناعما من خلف كتفه الأيسر يناديه بلغته.

- سعادة اللواء.. مفاتيح الغرف جاهزة معي.

فأدار وجهه شطر الصوت العذب، فوجد شابة شقراء، بعيون أكثر زرقه من البحر، غاية في الجمال والحسن، ولا أميرة من قصة خيالية. فتح اللواء فمه، وسرح في جمال تقاسيم وجهها المليح، وتمنى لو يحتضنها بقوة ويقبلها بجنون، فهو علاقته بالجنس الآخر تكاد تكون

منعدمة، وتجاربه قليلة، ولا تذكر. إنما هذه الشابة، بالفستان الأحمر والشعر الأشقر الملموم إلى الخلف والعيون الزرق، جعلته غير قادر على التفكير أو الحركة.. أه لو أمضى ليلة مع هذا القمر، سوف أكون أسعد إنسان في العالم. كررت الجميلة على مسامعه:

– يا لواء، مفاتيح الغرف جاهزة.. تفضل.

ومدت يديها بالمفاتيح، فتناولهم بكلتا يديه، ولمس يديها فشعر بكهرباء تسري في جسده، وخدر لذيذ، تمنى أن يدوم العمر كله. ظلت الجميله تنظر في عينيه، فشعر إنه انفصل عن الوفد والبهو وعاصمة الغرب والكون، وأحس إنه يحلق في السماء السابعة. سحبت يدها من يديه ببطء شديد، وابتسمت ابتسامة رائعة، وقالت بلغته:

– سوف تستمتع بإقامتك معنا، أنا واثقة من ذلك. إلى اللقاء يا لواء.

واستدارت عائدة الى مكتب الاستقبال، وظل اللواء معلق بنظره، يخزن في ذاكرته كل تفاصيل جسمها من الخلف، وكانت تمشي كفرسة تتبختر .

كل أملي أن أقضي ساعة واحدة من الحب مع هذا الملاك الساحر آه آه.

صعد إلى الغرفة بعد العشاء مباشرة، ودخل الغرفة، فدهش من النظافة والديكورات الحديثة والمنظر الرائع من الشرفة، المطلة على النهر الكبير، الذي يقطع عاصمة الغرب. وأخذ بعض الوقت ليتبين كيف يعمل الدش في الحمام، وذهل من سرعه وقوة المياه الساخنة،

فأخذ حماما ساخنا، ومارس العادة السرية وهو يتخيل الفتاه الشقراء عارية من الخلف. ولبس ملابس النوم، وخرج من غرفته للتمام على باقي أعضاء الوفد، فوجد الجميع في الفراش حسب التعليمات، فرجع إلى غرفته، عازما على الاستسلام للنوم، حتى يكون على أتم استعداد في اجتماعات الغد المهمة.

خرج من الحمام، وأضاء المصباح، وقرر أن يدخن سيجارة قبل النوم. فتح الشباك.. رغم برودة الجو، لكن المنظر كان لا يقاوم. وضع السيجارة في فمه، وتحسس جيوبه بحثا عن قداحة، فلم يجد. وفجأة، وجد قداحة تشتعل بجانب وجهه، وتقترب من السيجارة، التي كادت أن تسقط من فمه، المفتوح من هول المفاجأة، فتسارعت دقات قلبه، ونظر إلى جانبه برعب حقيقي. يا إلهي.. إنها الفاتنة الشقراء، التي تعمل في الفندق!.. هل أحلم أم ماذا يحدث؟ كانت تقف بجانبه، وابتسامتها الجميلة تعلو وجهها المليح، تفوح منها رائحة عطر شهية، تخدر الأعصاب بخدر لذيذ، ترتدي قميص نوم أحمر شفاف، لا يخفي شيئا، بدون أي ملابس داخلية.

نجح بصعوبة في السيطرة على أعصابه، واقتربت منه الشقراء، وأشعلت له السيجارة، وأشعلت لنفسها سيجارة بيد، وناولته كأس من الويسكي بالثلج باليد الأخرى. استدارت، فظهر ظهرها العاري حتى نصف مؤخرتها، المنسدل عليه شعرها الذهبي الطويل، وتوجهت إلى المائدة الموضوع عليها زجاجة ويسكي من النوع الفاخر وثلج، مع بعض الأطباق، لم يتبين ما بها، حتى عندما تذوق منها لم يعرف ما يأكل، لكنه استمتع بالطعم الشهي بلا شك.

نظرت الفاتنة الشقراء للواء نظرة كلها غنج واثارة، وضعت قطعة من الثلج في كأسها الفارغ، وصبت الويسكي فيه. وجلست على الكرسي المريح بجوار المائدة، وكان اللواء يقف أمامها كالمهووس، ينظر ما بين فخذيها. عب الكأس في رشفة واحدة، وفرغ من السيجارة في نفسين، فقامت الشقراء بهدوء، وأطفأت سيجارتها في منتصفها، ووضعت الكأس على المنضدة، بعد أن أخذت رشفة صغيرة، واقتربت من اللواء، وقبلته في رقبته، فاحتضنها بقوة، وأخذ يقبل وجهها ورقبتها.

كان يقبلها كالكلب المسعور، كرجل لم ير الطعام من سنين. وما إن عرت صدرها، ورأى هذا المشهد البديع، الذي لم ير مثله من قبل، نهدين مثل رمانتين طازجتين، وأخذ يقبلهم ويلعق فيهم، مثل ذئب جائع يلتهم شاه صغير، لامست بيدها عضوه المنتصب كالحجر، فلم يتمالك نفسه، وأفرغ ما عنده في أقل من ثانية، دون أن يخلع ملابسه حتى.

ابتسمت الشقراء ابتسامة حانية، وقالت للواء بلغته:

– اذهب واستحم، وأنا في انتظارك في الفراش أيها النمر الشرس ..

في الصباح، استقل اللواء السيارة التابعة للسفارة، للذهاب إلى الاجتماع، وجلس بجانبه سفير دولته لدى الغرب. وبدأ السفير في الحديث عن إستراتيجية قائد الثورة طويل القامة، وأسلوب التفاوض.

لكن السفير لاحظ عدم تركيز اللواء، وراعه الهالات السوداء تحت عينيه، فسأل اللواء:

– هل أنت بخير.

رد اللواء بعصبية:

– نعم أنا بخير فقط سهرت حتى الصباح، لمراجعة ملفات مهمة، وانشغلت بدراسة نقاط القوة والضعف في موقف دولتنا.

وضحك اللواء ضحكة خبيثة في سره.. آه لو يعرف هذا الأبله وقائده طويل القامة ماذا كنت أسوي البارحة في معركتي الغرامية مع الشقراء الفاتنة وإتيانها أكثر من ٥ مرات.. وشعر بالإثارة بمجرد تذكره ليلة أمس.

دخلوا إلى مقر إدارة العلاقات الخارجية، وقابلهم بود مندوب مدير الملف في حكومة الغرب، وقادهم إلى غرفة اجتماعات كبيرة، بسقف عالٍ، يتدلى منه نجف كبير، والحوائط مزينة بلوحات زيتية ضخمة، تصور أناس لم يتعرف عليهم اللواء، لكن من الواضح أنهم من زمان بعيد كانوا ملوكا أو أباطرة.

تصافح الوفدان، وجلسوا متواجهين على طاولة المفاوضات الطويلة. بدأ مسئول الملف في الغرب بالكلام بلغته لمدة ساعة تقريبا، شرح فيها موقف بلاده، وكان قوي الحجة، حاسم في كلامه. بعد أن فرغ، تكلم اللواء، وتولى السفير الترجمة، وعرض موقف دولته، بناء على تعليمات قائد الثورة طويل القامة بالحرف.

حين فرغ اللواء من كلمته، رفع مسئول الملف في الغرب يده، طالبا أخذ استراحة لمدة ساعة للغذاء، وقاد اللواء والوفد إلى غرفة ملحقة بقاعة الاجتماعات. أعجب اللواء بالقاعة، من حيث المساحة وأرضيتها التي تشبه رقعة الشطرنج، من اللونين الأبيض والأسود فقط. على جانب في القاعة، صفت طاولات، عليها أنواع مختلفة من الطعام. وكان النور يدخل القاعة من نوافذ كبيرة في أركانها الأربعة.

لم يكن اللواء يشعر بالجوع، بل بحاجه ماسة إلى فنجان قوي من القهوة، فاتجه إلى البار المعد للمشروبات، وطلب من النادل فنجان قهوة كبير، وأخرج علبة سجائر. وحين وضع سيجاره بفمه، وجد قداحة تقترب منه، وتشعل سيجارته، فأخذ نفسا عميقا، ونفث الدخان في اتجاه السقف، ونظر إلى صاحب القداحة، فوجد شابا من الغرب، وسيما كالأمراء، وجهه مريح، وشعره البني الناعم مصفف بعناية. يرتدي حلة زرقاء، تحتها قميص أبيض، ورابطة عنق حمراء في لون النبيذ. أكثر ما لفت نظر اللواء عيون الشاب الغربي.. واحدة زرقاء والثانية خضراء.

شكره اللواء بلغة الغرب.

– لا شكر على واجب يا لواء..

أجابه الشاب الوسيم بلغة اللواء، وزاد الشاب الوسيم:

– أحب أن أعرفك على نفسي بعد إذنك.. أنا ماريو.. في خدمتك دائما.

فهم اللواء أن يعرفه بنفسه، فأوقفه ماريو بإشارة من يده، قائلا:

– غني عن التعريف يا لواء، فأنت في الغرب أشهر من نار على علم. إنه شرف عظيم أن أقابلك أخيرا، فأنت قمت بعمل عظيم في سبيل حرية بلادك، وأنا معجب بذكائك وشجاعتك.

ثم ابتسم ماريو الوسيم ابتسامة مريحة، وانصرف بهدوء .

لم تمض برهة، حتى جاء سفير البلاد لطلب قدح من الشاي، وسأله اللواء:

– من هذا الرجل ذو الحلة الزرقاء، الذي كان يبادلني الحديث الآن؟

فنظر له السفير نظرة تعجب، وأجاب:

– أي رجل؟ لم ألحظ أحدًا يقف معك مطلقا.

انتهى اليوم الأول للمفاوضات بمشادة عنيفة بين اللواء ومسئول الملف في حكومة الغرب، مما أذهل أعضاء الوفدين من قوة شخصية اللواء، وتمسكه بحقوق بلاده ووطنيته، مع إن كل هذه الشجاعة لم تكن أكثر من تعليمات قائد الثورة طويل القامة، التي لقنها للواء قبل أن يغادر دولته.

عاد اللواء إلى غرفته بالفندق الفخم، الذي يطل على النهر الكبير، الذي يقطع عاصمة الغرب. وأخذ ينظر في أنحاء غرفته، عله يجد الشقراء الفاتنة في انتظاره، لكنه لم يجد أي أحد في الغرفة، فأخذ

حماما دافئا، وخرج للتمام على أعضاء الوفد، ووجدهم في غرفهم يستعدون للنوم.

دخل إلى غرفته، فوجد خيال الشقراء الفاتنة تجلس على المقعد المريح، وبجوارها زجاجة ويسكي. ابتسم اللواء ابتسامة كبيرة، وقال لها

– يا حبيبتي كنت سأحزن وأصاب بالجنون إذا لم تظهري.

لكن ابتسامته تحولت إلى علامة تعجب أكبر من المحيط، عندما سمع صوت رجل يقول مساء الخير يا لواء.. هل تتذكرني.

أشعل اللواء نور الغرفة، فوجد ماريو الوسيم، بحلته الزرقاء ورابطة عنقه الحمراء مثل الدم.

– هل كنت تنتظر أحد يا لواء هل فاجأتك؟

– لا أبدا يا ماريو.. لكن كيف دخلت إلى هنا؟

أجابه اللواء، وهو يحاول أن يبدو متماسكا.

أمسك ماريو الوسيم بزجاجة الويسكي، وصب كأسين، وناول اللواء كأسه، وقال له:

– لا تشغل بالك بهذه الشكليات يا لواء.. اجلس على الكرسي المريح، واشرب معي في صحة صداقتنا الأبدية.

جلس اللواء، وأخذ رشفة من الويسكي، وأشعل له ماريو سيجارة، وناوله إياها. بعد أن أخذ اللواء نفسا عميقا، نظر إلى عيني

ماريو ووجهه المريح، وشعر بدفء وألفة بسرعة مدهشة.. بعد الكأس الثانية، كان اللواء في مزاج رائق، وأعصابه في حالة استرخاء تام.

بادره ماريو الوسيم قائلا:

– يا لواء أنت تريد أن تعرف من أنا وما هي طبيعة عملي.

استغرب اللواء بشدة، لأنه كان يهم أن يسأل ماريو الوسيم نفس السؤال.

– أنا يا لواء يمكن أن تعتبرني سفيرًا. نعم، سفير فوق العادة. لست سفير بلد أو دولة، إنما سفير لسيدٍ.. سيد حكيم وقوي، فوق ما يتخيل أحد.. سيد قادر على كل شيء.. سيد يصنع معجزات.. سيد يدير العالم بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

سكت ماريو الوسيم لثوانٍ، وأضاف:

– تريد أن تسألني ماذا يريد مني سيدك يا سيد ماريو الوسيم..

عندها، كاد اللواء أن يصاب بأزمة قلبية، لأن هذا بالضبط السؤال الذي كان على لسانه، فأمسك ماريو الوسيم بيده بقوة، لكن قوة ناعمة، هدأت مخاوف اللواء في أقل من ثانية، ونظر في عين اللواء قائلا:

– إن السيد يريد لك النجاح والمجد والجاه والثروة والسلطة المطلقة.. يريد لك أن تتحكم لا أن تحكم فقط.

هم اللواء أن يقول كلماته الشهيرة.. أنا خادم السيد وخادمك يا ماريو الوسيم؛ لكنه تراجع، بعد أن أيقن إن ماريو خدعة مخابراتية من قائد الثورة طويل القامة، أو من نائبه الخبيث، أو من الغرب لتجنيده لصالحهم، وفي الحالات كلها هو الخاسر إذًا سوف يلعب لعبته المفضلة، ويساير ماريو، وحين يعود إلى الوطن يقول كل شيء لقائد الثورة طويل القامة، وينال ثقته ورضاه، وينال ترقية، ويصير بطلا قوميا، ومن يدري قد يصير رقم ٣ أو ٢ وفي أحد الأيام قد يصبح رقم ١.

ابتسم اللواء ابتسامة مشجعة لماريو الوسيم، بعد أن استعاد ثقته بنفسه، وأمسك بزجاجة الويسكي، وأخذ في صب كأس. عندها اختفت ابتسامة ماريو الوسيم الودودة، وحل محلها وجه مكفهر أسود، ثم انفجر صائحا في وجه اللواء..

— أية مخابرات، وإية نائب خبيث، وإية بطل قومي، وأية ثقة من قائد الثورة طويل القامة يا لواء؟ أنا قادم لأعطيك القوة والتحكم والمجد، وأنت تفكر في ترقية وعطف ورضا قائد الثورة طويل القامة؟! ثم ما فائدة رقم واحد، بدون دعم السيد.. سيد العالم الوحيد؟

لم يشعر اللواء بيده وهي ترتعش من الخوف، الذي لم يشعر بمثله من قبل، حتى إنه لم يشعر بالويسكي الذي فاض من الكأس، وبدأ يسيل على الطاولة، مما حدا بماريو الوسيم أن يأخذ الزجاجة من يده المرتعشة، بعد أن عادت له ابتسامته الودودة، وصب كأسًا لنفسه قائلا:

– لقد قلت لك يا لواء في أول حديثي أنا سفير سيد قوي وحكيم. والسيد يريدك معنا، ويدعمك، لا لكي تصير رقم ١ إنما سوف تكون أقوى حكام الزمان، أعظم الحكام شأنا.. أن تعيش حتى ترى أجيالا وأجيالا.. أن تتحكم في البلاد والعباد.. أن تكون ثروتك عاصية على أن تحصى. السيد سوف يضع في يدك خاتم سليمان، مصباح علاء الدين.. سوف تأكل أفخم أكل، ترتوي من أجمل بنات الإنس والجن.. سوف تسكن في قصور تجري فيها أنهار، وتزرع فيها أندر أزهار.. سوف تكون مهابًا، يخشاك الجميع.. سوف تكون لك الغلبة في جميع معاركك.. سوف يشيد حكام العالم جميعا بحكمتك.. سوف يغني المغنون أغانٍ تمجدك.. سوف تنسب لك بطولات أمتك، تنسب لك وحدك دون شريك.. سوف تطبع كتب عن أعمالك الخارقة.

نهض ماريو الوسيم، ووضع كأسه على الطاولة، ولم يشعر اللواء بخروجه، لأن كلمات ماريو كانت تتحول إلى صور في خيال اللواء، استمرت حتى الصباح.

اليوم الثاني في اجتماع اللواء مع مسئول الملف في حكومة الغرب انتهى بلا اتفاق محدد. الشيء الوحيد الذي اتفق عليه هو أن تكون هناك جولة ثانية من المباحثات الشهر القادم، في عاصمة الغرب. استقل اللواء الطائرة عائدا إلى دولته، وكلمات ماريو تتحول إلى صور في خياله.

ما هذا البحر الهائج؟ أيحاولون قتلي بالموج أم ماذا ... صرخ اللواء، وهو يكاد يسقط من على الفراش ذي الرائحة الكريهة.

ما زالت قدم اللواء تؤلمه بشدة، ومثانته تكاد تنفجر من احتباس البول، ورائحة الفراش العفنة تجعله يرغب في التخلص من حياته. حاول النهوض، ونجح أن يستند إلى الطاولة المجاورة للفراش؛ لكنه توقف حين شعر بدوار شديد، وأحس برأسه تدور بسرعة كبيرة، مما أفقده توازنه، وألقى برأسه على الفراش ذي الرائحة العفنة، التي تمنعه من التنفس.

"حسنا! لقد اكتفيت من العذاب. أريد أن أموت الآن. السيد بمكان ما يسمعني، أنا واثق".

وأخذ اللواء ينادي..

"يا سيد.. يا سيد.. أنا خادمك.. أنا عبدك.. لقد أديت مهمتي، ونفذت جميع أوامرك. أريدك أن تأخذ روحي إلى مملكتك، كما وعدتني. لقد أوفيت جميع وعودك لي.. خذني إلى مملكتك يا سيد.. أين أنت؟ أين أنت؟ أعلم إنك تسمعني".

وأخذ صوته في الانخفاض مع استسلامه للداور، حتى تسلل إلى سمعه صوت موسيقي يعرفه جيدا.. صوت امرأة، يعرف صوتها جيدا.. يحفظ كل أغانيها.. يعشق حنجرتها الذهبية. أنصت بعناية.. إذًا أنا صاعد إلى مملكة السيد على أجمل صوت امرأة في الكون.. ما أحلاك يا سيد يا عظيم يا حكيم .

أخذ تنفسه في التحسن، واختفت رائحة الفراش العفنة. تنفس بعمق للمرة الأولى، منذ أن دخل القمرة الزنزانة. زال الألم في قدمه، نسي البول المحتبس في مثانته منذ الأزل، عند توغل صوتها الذهبي في

طبلة أذنه.. غناء حبيبته، معشوقته، ملكته.. المرأة الوحيدة التي أحبها بصدق.. المرأة الوحيدة التي كان مستعدًا أن يترك كل شيء: الحكم، المال، السلطان.. حتى خدمة السيد نفسه في سبيل حبها.

كانت مطربة الثورة، كما كان يحب أن يطلق عليها قائد الثورة طويل القامة، عندما كان يذهب اللواء معه إلى المسرح، في أعياد الثورة، وتقف المرأة ذات الحنجرة الذهبية، تغني أغانٍ وطنية. كان اللواء يصاب بحاله من الولع والعته من فرط حبه لها.

كان يجلس في الصف الأول، وعينه لا تفارقها.. يستمع لها بوجدانه، فهي المرأة الكاملة. جمال أخاذ بدون تصنع.. شعرها الأسود مثل ليل حزين، نظرة من عينيها السوداوتين كفيلة بتحطيم أي موانع بينك وبينها.. تمتلك جسم حورية أسطورية.. عندما تفتح فمها لتغني، يخرج منه نسمة تسكرك بنشوة عارمة. كان يدخن علبة سجائر كاملة خلال وصلتها، التي لا تدوم أكثر من ساعة. اللواء، الذي لم يبك أبدا في حياته، مهما حدث، كان يذرف الدمع، مثل الطفل الذي فقد أمه، عندما تشدو سامحني يا حبيب الروح.

في أحد المرات، قدم له قائد الثورة طويل القامة منديله الخاص قائلا:

– لم أكن أعرف أنك حساس إلى هذه الدرجة يا لواء!

عندما كانت تنتهي من الغناء، ويذهب مع قائد الثورة طويل القامة والرفاق إلى حجرة ملابسها في المسرح، لإلقاء التحية عليها، كان يسلم عليها، ويحاول أن يطيل يده في يديها. وحدث في مرة أنها

اضطرت إلى أن تسحب يديها من يده المطبقة على يدها بقوة؛ لكن ابتسامتها لم تفارقها، حتى لا تسبب الإحراج للواء.

أول قرار اتخذه، عندما تولى الحكم، هو أن يقام حفل بهذه المناسبة. وتم توجيه الدعوة للمرأة ذات الحنجرة الذهبية للغناء في قصر الحكم الجديد. وإذ بها تفاجأ أن اللواء هو المتفرج الوحيد، فامتنعت عن الغناء، وغادرت القصر غاضبة. لم يستسلم اللواء، وأشعل سيجارًا لاتينيا، كان يعده مع زجاجة شمبانيا، للاحتفال مع المرأة ذات الحنجرة الذهبية، بعد أن تفرغ من الغناء. ولم يخرج من شروده إلا عندما اقترب منه علوان، ليلفت نظره أن أحد الموظفين الشباب في القصر يطلب الحديث مع اللواء. أذن اللواء له بالاقتراب، فوقف الموظف الشاب أمامه، ونظره في الأرض، ويده خلف ظهره، وتكلم في صوت خفيض:

– بعد إذنك يا لواء.. أنا أستطيع أن أجعل المرأة ذات الحنجرة الذهبية تعود وتعتذر وتبدع في الغناء. إذا أذنت لي.

لم يرد اللواء، إنما هز رأسه هزة خفيفة، مما يوحي بموافقته.

لم يمض أكثر من يوم، وطلب الموظف الشاب مقابلة اللواء للمرة الثانية. نظر له اللواء بعدم اهتمام، وبدأ الموظف الشاب في الحديث قائلا:

– يا لواء.. معي رساله شفهية من المرأة ذات الحنجرة الذهبية

بدا على اللواء الاهتمام، وهز رأسه، مما أوحي للشاب بإكمال حديثه..

- سامحني يا روح الروح وأنا تحت أمرك أغني لك في أي وقت وأي مكان.

لم يتمالك اللواء نفسه من الفرح، وسأل الموظف الشاب:

- هل أنت جاد يا ولد .

- هل أنا مجنون لأمزح مع اللواء العظيم؟!

أجاب الموظف الشاب.

عندها، بدأ اللواء في النظر للموظف الشاب نظرة اهتمام، فوجده شابًا صغيرًا، يمتلك عين أفعى، قصير القامة، يصفف شعره على جنب، وفوق فمه الصغير شارب خفيف، لا يظهر إلا عندما تقترب من وجهه . وسأله:

- ما اسمك يا ولد؟

فأجاب الشاب:

- خادمك الوفي موافي يا لواء يا عظيم.

في ليلة كان القمر بدرًا، في الميعاد المحدد للقاء المرأة ذات الحنجرة الذهبية، جلس اللواء في شرفة استراحة بحيرة الحمام البديعة، والأشجار تحيط المياه من كل جانب، والجو رائع رغم إنهم في عز الصيف، والهواء عليل. موافي أعد كل شيء.. زجاجات الشمبانيا

الفاخرة، مع بعض المزات الخفيفة، السيجار اللاتيني الذي يفضله اللواء، ولم ينس الإضاءة الشاعرية. موافي، الموظف الصغير، الذي أصبح كبيرًا بعد رضاء اللواء عنه، وأصبح لا يفارقه ليل نهار، مما أثار غيرة علوان، خادمه الأمين، وفرج حارسه الشخصي .

كان اللواء ينتظر على أحر من الجمر، ويشعر بسعادة عظيمة. أخيرا سوف يجلس مع محبوبته في هذا الجو الشاعري، ويتبادلان الحديث، دون أن يزعجهم أحد.. وقد تغني له وحده. وأخذ يتسرب إلى أعضائه وداخله طاقة، جعلته يشعر أنه أقوى إنسان في الكون.

أفاق من أحاسيسه بالقوة والعظمة، حين توقفت إحدى سيارات القصر السوداء الفاخرة، وخرجت منها المرأة ذات الحنجرة الذهبية، كأنها فراشة مضيئة، تخرج من الظلام إلى النور، ترتدي فستانا أبيض، مرسوم عليه ورود حمراء جميلة، وتغطي كتفها العاري بشال أسود حريري.

قابلها اللواء بابتسامة صافية.. ابتسامة عاشق ولهان.. ابتسامة طفل وجد أمه بعد غياب. فبادرته قائلة بكل خجل، وهي تنظر إلى الأرض:

- لقد جئت اليوم لأ...

وضع اللواء يده برفق على فمها، وكاد يدمع وهو ينظر إليها..

- أنا الذي يجب أن أعتذر على صفاقتي، فأنا كما تعلمين قادم من من قرية في أقصى جنوب البلاد، وقومنا مشهورون بالغباء.

فنظرت المرأة ذات الحنجرة الذهبية في عينه، وضحكت ضحكة مليحة، جعلت اللواء يشعر أنه في الجنة. دعاها للجلوس على الأريكة بجانبه، في الشرفة المطلة على البحيرة، وناولها كأس شمبانيا، ورفع كأسه وقال:

– في صحة أجمل امرأة في الكون.

فردت بدلال:

– في صحة أعظم لواء في الكون.

بعد برهة، وبعد الكاسات والكلام المجامل من الطرفين، بدأت فجأة في الغناء، بدون فرقة أو موسيقى. أخذ اللواء يعب من الشمبانيا، ويطير مع صوت المرأة ذات الحنجرة الذهبية، فكان يبتسم تارة، ويدمع تارة أخرى.

لا أحد يستطيع أن يجزم كم من الوقت مضى على غنائها العذب وكم زجاجة شمبانيا عبها اللواء. كان مثل شخص توقف به الزمان، وفقد الإحساس بالمكان، من تأثير صوتها وحضورها الطاغي.

توقفت أخيرا المرأة ذات الحنجرة الذهبية عن الغناء، ومالت برأسها للوراء، كمن تريد أن ترتاح بعد عناء، ثم قامت بعد دقائق، واستأذنت في الانصراف. كان اللواء ينظر للقمر، في حالة نشوه وسكر من صوتها، قبل أن يسكر من الشمبانيا، فوقف اللواء في مواجهتها، واحتضنها بشغف، وقبلها في فمها، فلم تقاوم، ولم تبادله القبل.. كانت تقف مثل العروسة اللعبة. ثم نزل على رقبتها بشفته،

ولثم قبلة طويلة عليها، تركت أثرًا، ثم فتح ذراعيه، فانطلقت مثل طائر حر، وتابعها بروحه قبل عينه وهي تركب السيارة، وتلوح له من بعيد..

ارتمي على الأريكة، وشخص إلى القمر، على أمل لقائها الأسبوع القادم.

لم يمض أسبوع، حتى أطلق عليها زوجها الملحن الموهوب الرصاص، وأرداها قتيلة في الحال، وأطلق الرصاص على رأسه، وفجره بنفس المسدس.

كان حادث مروع، وخسارة للفن العالمي لا تعوض. حين سمع اللواء الخبر من موافي، لم يتمالك نفسه من الغيظ، وألقى بكأس الشمبانيا، الذي كان يحتسيه في شرفة استراحة بحيرة الحمام، في انتظار المرأة ذات الحنجرة الذهبية، في وجه موافي. مما أسأل الدم بغزارة من رأسه. ورفس الطاولة الموضوع عليها المزة والخمور، وأطاح بمحتوياتها بعيدا.. وأخذ يسب ويلعن الجميع، وكان صوته كوحش كاسر جريح، يصرخ طالبا الانتقام من صياده .

رجعت رائحة الفراش الكريهة تزكم أنف اللواء، مما أفاقه من أحلامه، على صوت مذيع نشرة الأخبار، يعلن أن الثوار قرروا نفي اللواء إلى إحدى جزر المحيط النائية، بعد رفض جميع دول العالم استضافته. وأن عصراللواء الظالم والمستبد قد انتهى، ويتعهد الثوار بتسليم الحكم إلى مجلس حكومي مدني منتخب من الشعب، في مدة لا تزيد عن عام.. ويتعهد الثوار ببناء دولة العدل والديمقراطية

والعدالة الاجتماعية، ومحاكمة أعوان اللواء وحاشيته، التي استغلت مناصبها في الفساد والإثراء على حساب الشعب، وسيطرتهم على ثروات البلاد، علاوة على إطلاق سراح سجناء الرأي والطلبة المعتقلين بدون محاكمة، وإعادة النظر في الأراضي والمصانع، التي كان اللواء وأعوانه وأقاربه استولوا عليها بدون وجه حق، وأنشأ محكمة الشعب. وأخذ المذيع يسترسل في قراءة قرارت الثوار.

هنا أدرك اللواء أن المذيع كان يذيع أغنية المرأة ذات الحنجرة الذهبية، وأن الحارس السخيف خارج القمرة الزنزانة يتعمد أن يسمع اللواء نشرة الأخبار. فجلس اللواء على الفراش، وأخذ في الصياح..

– السيد لن يرحمكم أيها الأطفال الجاحدين. هل تظنون أن اللواء انتهي؟ أنتم واهمون.. هل تتوهمون أن الغرب سوف يسكت على هذه المهزلة؟ أولاد عمنا لن يتركوا حليفهم المفضل، وكنزهم الإستراتيجي للضياع.. سوف يمول شيوخ الصحراء أصدقائي حملة، لتأتي وتحررني، وأرجع إلى الحكم.. أيها الأطفال الملاعين، سوف يكون حسابكم عسيرًا.

مازال اللواء جالسا على الفراش ذي الرائحة العفنة.. وشعر بدقات قلبه تتسارع، وشعر بداور من جديد، مع رغبة في القيئ، فتحامل على قدمه المتورمة، وحاول النهوض؛ لكنه فشل. فجلس على الفراش، وأغمض عينه، وكان البحر قد بدأ في إرسال الموج، ليتأرجح اليخت إلى فوق، ثم يهبط بسرعة. سمع اللواء بوضوح قائد الطائرة وهو يطلب من الركاب ربط أحزمة المقعد، لأن الطائرة

داخلة في منطقة مطبات هوائية، وسوف يمتنع طاقم الضيافة عن تقديم المشروبات الساخنة. تملك اللواء الرعب، وهو يشعر أن الطائرة مثل لعبة في يد المطب الهوائي، يلهو بها، وأحس أنها النهاية، وكان في قمة الفزع. كان هذا في زيارته الثانية للغرب؛ لكن هذه المرة أرسل قائد الثورة طويل القامة عضوًا جديد في الوفد، وهو مستشار الثورة للعلاقة مع الغرب، وهو شاب ممتلئ الجسم، يكاد ينفجر من فرط ثقته بنفسه. وكان اللواء يطلق عليه الشاب المخنث، لأن مسئول العلاقة مع الغرب كان يهتم بمظهره ومشهور بأناقته المفرطة، لكونه سليل عائلة عريقة، أنجبت للبلاد سفراء ووزراء على مدى أجيال وأجيال.

في اجتماع اللواء الأخير مع قائد الثورة طويل القامة والشاب المخنث، فهم اللواء من كلام القائد أن القرار في المحادثات في يد الشاب المخنث. أصيب اللواء برعب شديد وأخذ يتساءل في قرارة نفسه وهو خارج من مكتب القائد: هل اهتزت ثقة القائد فيّ، أم مقابلة ماريو قد انكشف أمرها، أم الليلة التي قضاها مع الفاتنة الشقراء قد انكشف أمرها؟ هل نائب قائد الثورة الخبيث وراء هذا القرار؟.. مع تزايد المطبات الهوائية، كان العرق ينهمر بغزارة من جبين اللواء، ونظر إلى مقعد مسئول العلاقة مع الغرب، فوجده هادئا، ويقرأ في كتاب، مما زاد حقد اللواء عليه.

هبطت الطائرة أخيرا في مطار عاصمة الغرب. وكان الضباب يملأ الجو، فلم يدر اللواء بشيء إلا عندما أعلن الطيار عن الوصول بسلام، بعد أن كان على شفا الموت رعبا.

في اجتماع ردهة الفندق، أراد اللواء أن يأخذ بزمام الأمور، ويشدد على تعليمات الأمن والنوم مبكرا وعدم الخروج من الفندق مهما كانت الأسباب. قاطعه مسئول العلاقة مع الغرب:

– يا لواء.. اسمح لي –بعد إذنك طبعا– لقد درست في جامعه عاصمة الغرب، وأعرفها جيدا، ولقد وعدت الزملاء أن أقوم بدور المرشد في جولة على معالم العاصمة ومتاحفها، ومساعدتهم على شراء هدايا وتذكارات. غير أني حجزت تذاكر لكل أعضاء الوفد، لمشاهدة عرض فني في دار الأوبرا، وطبعا يا لواء أنت أول المدعوين.

كان الفتى المخنث يتكلم بدبلوماسية وأدب. لكن اللواء لم يستقبل كلامه بهذا الشكل، وانفجر في وجهه..

– إذًا أنت المسئول أمام قائد الثورة طويل القامة إذا حدث أي إنحراف.

فرد مسئول العلاقة مع الغرب:

– اطمئن يا لواء.. إن أعضاء الوفد رجال على مستوى عالٍ من الأخلاق والاحتراف.

أكثر ما كان يشغل بال اللواء هو أن الفاتنة الشقراء لم تظهر حتى الآن، إلى أن جاء رجل أصلع قصير، يرتدي بزة واسعة، وعرف نفسه للوفد كمدير للفندق، وتكلم مع مسئول العلاقة مع الغرب، لأن مدير الفندق كان يتكلم بلغة الغرب، مما زاد من غضبه وكبته.

كتم اللواء غيظه، وصعد إلى غرفته بدون أن يشارك أعضاء الوفد العشاء، وهو يفكر كيف سينتقم من هذا الفتى المخنث، عندما يصل للحكم.. هل سيعدمه على الفور أم يعذبه أولا؟

تحسن مزاج اللواء نسبيا، عندما وجد أن غرفته هي نفس الغرفة الجميلة، التي تطل على النهر الذي يقطع عاصمة الغرب. نفس الغرفة، التي استمتع فيها بأحلي ليلة في حياته، عندما افترس الفاتنة الشقراء على فراشها .

تحسن مزاج اللواء أكثر، بعد حمام ساخن. حلق ذقنه ووضع بيجامة حرير، وتعطر بعطر اشتراه من مطار عاصمة الغرب فور وصوله. ونظر لنفسه في المرآة، وداعب نفسه قائلا:

- ولا عريس في ليلة الدخلة.

طلب من خدمه الغرف زجاجة ويسكي من النوع الفاخر، وأصر أن يدفع ثمنها نقدا، حتى لا تظهر في فواتير الفندق، ويفتضح أمره. من الآن وصاعدا يجب أن يكون حريصا كل الحرص.

صب لنفسه كأسًا كبيرًا، وأشعل سيجاره، ووقف يشرب ويدخن أمام الشباك، مستمتعا بالمشهد الرائع، ومتمنيا من كل قلبه أن تظهر الفاتنة الشقراء.

سرق الوقت اللواء، ولم يدر ألا عندما اكتشف أنه أتى على أكثر من نصف زجاجة الويسكي الفاخر، وعلبة سجائره الجديدة أوشكت على النفاد، ولم تظهر الفاتنة الشقراء بعد. فدخل الحمام وتبول،

ونظر إلى المرآة، فوجد إن لون عينه قد مال إلى الإحمرار، فغسل وجهه، ومد يده فأخذ المنشفة ليزيل أثار الماء والصابون من على وجهه، وخرج من الحمام، وألقى بالمنشفة على الفراش. وأصيب بصدمة، عندما اكتشف وجود شبح يقف، معطيا له ظهره. ينظر من النافذة.

وقف اللواء وقد تجمد جسمه وعقله من الدهشة، إلى أن إلتفت الشبح إليه أخيرا، وبادره قائلا بلغته:

- لقد افتقدتك يا لواء يا عظيم.

- ماريو مرحب يا صديق

صاح اللواء وهو يتصنع الهدوء، عندما اقترب ماريو منه، وتبين ملامحه المريحة.

- عزيزي ماريو كيف حالك؟..

كان ماريو يقف الآن في منتصف غرفة اللواء، يرتدي بذلة بيضاء، وقميص أبيض، وربطه عنق في لون الدم، بوجهه الوسيم وابتسامته الودودة.

- الفاتنة الشقراء لن تظهر الليلة للأسف يا لواء.

قالها ماريو، وضحك ضحكه ساخرة. فأجاب اللواء ببراءة:

- شقراء فاتنة!.. تقصد من يا صديق؟

فعلت ضحكة ماريو، وأضاف:

– يا لواء.. تضاجع امرأة أكثر من ٤ مرات في ليلة واحدة، ولا تعرف اسمها!.. من الواضح أنك زير نساء كبير يا لواء يا عظيم.

لم يترك ماريو للواء فرصة للرد، ونظر في عينه، وقال:

– باكر يوم الجمعة

رد اللواء وهو لم يفق من ذهوله:

– نعم..

– سيذهب أعضاء الوفد للصلاه في جامع السفارة.

– نعم..

– سوف تقول لهم إنك أصبت بنزلة برد بسبب تغير الجو وتريد أن ترتاح لكي تستطيع أن تحضر الاجتماعات.

– نعم..

– سوف أقابلك في تمام العاشرة صباحا عند الباب الخلفي للفندق.

– نعم.

أمسك ماريو بيد اللواء، مما أشعره براحة وطمأنينة، وهمس في أذنه اليسرى:

– سوف تقابل من يريدون لك كل الخير، وتخطو الخطوة الأولى نحو المجد والملك والحكم والقوة المطلقة.. الخطوة الأولى نحو مستقبل باهر، مليء بالغنى والجاه والسلطان.. كما قلت لك من قبل.. لن تحكم فقط بل ستتحكم.. هل أنت مستعد يا لواء يا عظيم ؟

- نعم

توجه ماريو نحو الفراش، ونزع الغطاء، وأشار للواء أن يستلقي ويخلد للنوم.

نفذ اللواء تعليمات ماريو الصامتة على الفور، واستلقى في الفراش، فقام ماريو بوضع الغطاء فوقه، كأم تضع طفلها الصغير لينام، لكي يذهب إلى المدرسة في الصباح.

في العاشره تماما، كان اللواء يقف أمام الباب الخلفي للفندق، ويرتدي معطفا ثقيلا للوقاية من البرد القارس والأمطار. وبعد دقيقه، جاءت سيارة كبيرة فاخرة، لا يعرف نوعها، عاجية اللون، وكراسيها حمراء، بها سائق زنجي، شديد السواد ضخم الجثة، يرتدي بذلة سوداء وقميص أسود، مع ربطة عنق سوداء، وتوقف أمام اللواء، وترجل من السيارة، وفتح الباب الخلفي، وأشار للواء بالصعود فصعد اللواء إلى السيارة الفاخرة، فوجد ماريو بالدخل، يرتدي ابتسامته المريحة والودودة. وانطلقت السيارة مسرعة إلى خارج العاصمة، في طريق تحفه الأشجار العالية. وكان الجو ممطر بشدة..

وبعد أكثر من ساعة، توقفت السيارة أمام بوابة حديدية كبيرة، عليها نقوش ورسومات لم يفهمها اللواء، لكنه استغرب عندما فتحت البوابة بدون أن يكون هناك أحد. ومضت السيارة العاجية اللون ذات الكراسي الحمراء في طريق معبد، وعلى جانبيه مزارع شاسعة، أكثر من ٥٠ كم، قطعها اللواء وهو مشدوه باللون الأخضر على الجانبين، خصوصا بعدما توقفت الأمطار، وتحسن الجو نسبيا. توقفت

السيارة فجأة، ونظر اللواء من النافذة، فوجد قصرًا كبيرًا مبنيا على الطراز القديم، على مساحة شاسعة، كله نوافذ لم يستطيع اللواء حصرها.

نزل ماريو، وخرج السائق الزنجي، وفتح الباب للواء، الذي نزل من السيارة، وتأمل القصر المبني على الطراز القديم بإعجاب، ولفتت نظره كثرة التماثيل الرخامية والرموز المطبوعة على المبنى، وتساءل اللواء ترى من كم سنة وهذا المبني قائم ؟ فأجابه ماريو

– منذ أكثر من ألف سنة يا لواء يا عظيم.

مع أن اللواء سأل في سره!

عند بوابة القصر الرئيسية، قابلهم خادم عجوز، يرتدي ملابس سهرة كاملة، كاد اللواء أن يسلم عليه بحرارة، ظنا منه أنه مضيفه. لكن ماريو أعطاه معطفه، وهكذا فعل اللواء. دخلوا إلى القصر الكبير، وتبع اللواء ماريو في رواق طويل، يوجد على جانبيه قاعات فسيحة، بها أثاث فاخر ونجف عملاق ولوحات زيتية كبيرة على الحوائط، مرسوم فيها أناس من عصور قديمة، لكن اللواء لا يعرف أحدًا منهم، إنما تذكر اللوحات الموجودة في قاعة الاجتماعات، التي اجتمع فيها مع مسئول ملف بلاده في الغرب. أفضى بهم الرواق الطويل إلى شرفة كبيرة، مزينة بتماثيل، وتطل على حديقة واسعة، بها مظلة كبيرة، لاحظ اللواء وجود جمع كبير من الناس تحتها. وبدأ اللواء يشعر بتوتر.

نظر له ماريو وقال:

– لا تقلق يا لواء، سوف أعرفك على أصدقاء جدد. يجب أن تثق بهم، فهم لن يخذلوك أبدا.

تقدم اللواء، بعد أن أدرك أنه لا فرصة للتراجع. وأول من قابل كان مسئول ملف بلاده في الغرب، يقف مع بعض الأشخاص يشربون ويضحكون. والمفاجأة المدهشة للواء، هي الحماسة والترحيب الذي قابله به مسئول الملف، الذي كان يرتدي مثل معظم الحضور، قبعه سوداء طويلة وسترة سوداء طويلة من الخلف وبنطال رمادي مع قميص أبيض وربطه عنق غريبة، تشبه البابيون لكن أطول، مع إن اللواء كان يعتقد أن مسئول الملف في الغرب لا يطيقه.

– أتشرف بتعريفك على زوجتي العزيزه يا لواء.

قالها المسئول عن الملف، وهو يشير إلى امرأة كبيرة في السن، لكن تحتفظ بنضارة وجهها، لا يبين عمرها، ورشاقه جسمها مغرية، وغاية في الأناقة. ومد اللواء يده ليسلم على المرأة، ولم يرفع نظره من على فتحة فستانها الأصفر، حيث يطل عليه صدرها الناهد. قدمه ماريو للباقين، وكلهم رجالا ونساء يحملون ألقابا ارستقراطية ورجال أعمال من جميع أنحاء العالم، في مجالات البترول والأدوية وصناعة الصلب والسلاح وأصحاب شركات إنتاج أفلام ومياه غازية.. كل هذا واللواء في حالة ذهول، وخاصة إن لغته الغربية لا تسعفه، وكم تمنى أن يجيد لغة الغرب، ويتحدث مثلهم، ويلبس لبسهم. ومازال ماريو يقدمه للحضور، حتى وصلو إلى شاب ذي لحية خفيفة..

– معلول الثاني يا لواء.

قالها ماريو، حتى يخرج اللواء من حاله الذهول، التي أصابته.

– معلول الثاني، ولي عهد إمارة الصحراء يا لواء صديق غالٍ وعزيز.

نظر اللواء إلى معلول الثاني وهو يمد يده بتردد، فوجده يرتدي مثل معظم الحضور. وحضن معلول الثاني اللواء حضنا أخويا، وقال لماريو:

– أنا سعيد بالتعرف على اللواء العظيم فخر أمتنا وأملها.

– وها قد جاءت ملكتنا الأم.

صاح أحد الحضور، غالبا أكبرهم سنا، فنظر اللواء، فوجد ملكة الغرب، بشحمها ولحمها تدخل الخيمة. لم يكن اللواء رآها من قبل إلا في الصور، بشعرها الأبيض وقامتها القصيرة الممتلئة قليلا. كانت اليوم ترتدي فستانا أزرق سماويا، وحول عنقها الأبيض المكتنز عقد مرصع بماسات، الواحدة في حجم البيضة. وكان على وجهها ابتسامة راقية، وعلى رأسها تاج الملك، وكان يلمع من كثرة المجوهرات الموجودة فيه.

دخلت إلى تحت المظلة، وسط انحناء جميع الحضور، ونظرت إلى الجميع نظرة عطف. وشعر اللواء بزهو شديد، عندما نظرت إليه، وخيل له أنها تبتسم له، فانحنى احتراما، حتى كادت رأسه تلامس الأرض.

رفع رأسه بعد برهة، فوجد ملكه الغرب تجلس على كرسي ذهبي كبير متوج بشعار الغرب، ويجلس الجميع حولها. وتقدم أكبر الحضور

سنا، ولثم يدها، وطلب منها الإذن بصوت عالٍ أن تبدأ المباراة، فهزت ملكه الغرب رأسها موافقة، ورفعت يدها اليسرى إشارة لبدء المباراة.

مباراة أي مباراة؟ هل فهمت ما يحدث، أم عائق اللغة هو الغالب؟ قالها اللواء في سره، والتفت ناحية معلول الثاني وسأله عن طبيعة المباراة ،فلم يجب معلول الثاني، واكتفى بالإشارة باصبعه إلى الحديقة الواسعة أمام المظلة، فوجد اللواء فرسانًا على أحصنة قوية، يرتدون قبعات صغيرة، مصطفين أمام المظلة في صف واحد، نصفهم يرتدون قمصانا خضراء، والنصف الآخر يرتدون قمصانا صفراء، والجميع يمسك بعصا طويلة في يده من الواضح إنهم فريقين.

ترجل الفرسان من على الأحصنة، وانحنوا تحية لملكة الغرب امتطوا الأحصنة، ووقف الفريقان متقابلين، بينهما كرة صغيرة، وبدأو في ضربها وتوزيعها على بعضهم بالعصي التي يحملونها.

كانت مباراة مثل كرة القدم، لكن بالجياد، من أربع أشواط. وكان الحضور يشجع بحماس، وبان على ملكة الغرب الاستمتاع الشديد بالمنافسة بين الفريقين .

عندما انتهت المباراة بفوز الفريق الأصفر، سمع اللواء ماريو يهمس خلف أذنه اليسرى:

- موعد الغذا يا لواء.

مشي اللواء خلف ماريو نحو خيمة كبيرة، بها عشرات الموائد المستديرة، وكل مائدة عليها ست مقاعد. أشار ماريو للواء بالجلوس

على مائدة في أقصى اليمين.. جلس اللواء والتفت وراءه ليشكر ماريو، لكن ماريو اختفى بدون أثر، مما أشعر اللواء بقلق حقيقي.

جلس اللواء، ونظر إلى المائدة، فوجد في منتصفها آنية ورد صغيرة وأنيقة، وأمام كل ضيف ٣ أطباق و٣ كئوس و٣ أطقم ملاعق وشوك وسكاكين، مما زاده قلقا وارتباكا، وبدأ يفكر جديا في الهروب والتسلل خارجا وأن يذهب إلى الفندق. أشعرته هذه الفكرة براحة نفسية، وقرر أن ينفذها، وهم للوقوف، واستدار للخروج، فوجد أمامه بأقل من نصف متر الشيخ الشاب معلول، بابتسامة تملأ وجهه. وما لبث أن أمسك بيده برفق، وأجلسه كطفل صغير. ما إن جلس اللواء، حتى صاح معلول مرحبا بضيف جديد، يقف على يسار اللواء. نظر اللواء إلى الوافد الجديد، فوجده في العقد الخامس من عمره، له سوالف بيضاء كالثلج، وباقي شعره أسود من الليل، مع وجه مستدير وفرق واضح بين أسنانه. هز الوافد الجديد رأسه مرحبا بالشيخ الشاب معلول، الذي قال في مرح حقيقي:

- بنعامي كم أفتقدك يا رجل!

وأشار إلى اللواء سائلا بنعامي

- هل تعرف..

قاطعه بنعامي مبتسما ابتسامة ودودة:

- بالتأكيد يا شيخ معلول طبعا أعرف اللواء .

كان اللواء مثل المخدر، لا يدري ما يجب فعله أو قوله في هذه المناسبة، فما كان يحلم في أكثر أحلامه جموحا أن يكون في صحبة هذا الكم من العظماء، فأكتفي بمد يده لمصافحه بنعامي، الذي شد على يد اللواء بقوة، ولم تفارقه ابتسامته الودودة.

جلس الجميع، وانضم إليهم رجلان، أحدهم طاعن في السن لكنه وجهه يحمل نضارة وصحة، ورجل لاتيني شاب يرتدي عوينات شمسية، مع إن الشمس لم تسطع هذا اليوم. وتبادل الجميع التحية، ولم تمض دقائق، حتى جاءت امرأة حسناء، لم يتبين اللواء سنها الحقيقي فهي ليست شابة وليست عجوز، ترتدي ثوبا راقيا، وعنقها مزين بعقد من اللؤلؤ ذي الحجم الكبير. وقف الضيوف المجتمعون على المائدة، وانحنوا إعجابا قبل أن يكون احتراما

اقترب نادل يحمل آنيتين في يده، ومال على اللواء، وهمس سائلا أحمر أم أبيض، فتلعثم اللواء ورد ردًا غير مفهوم، فتدخل بنعامي ذو السوالف بلون الثلج:

– أحمر وأنا والشيخ الشاب معلول مثل اللواء.

نظر بنعامي للواء، وأضاف:

– سوف يعجبك هذا النوع من النبيذ يا لواء إنه نبيذ اجفا أصلي مصنوع من كروم مزارعنا في وادي اجفا التي تعد من أحسن مزارع الكروم في العالم حيث يرويها نهر الأردي كما تعرف.

أحس اللواء بأن رأسه على وشك الانفجار، وتساءل في سره: "بنهر الأردي! اجفا كروم! أليست هذه الأرض التي اغتصبها أعداء الوطن منذ سنوات بمساعدة الغرب وقتلوا وطردوا أهلها أهلها أبناء بلادنا وأقامو دولتهم فوق هذه الأراضي؟ والأنكى أهم هزموا جيوش بلادنا مجتمعة هزيمة منكرة".

"إنها النهاية" أضاف اللواء في سره.. "سوف يعرف قائد الثورة طويل القامة أني جالس أشارب أنادم مسئولا من أعداء البلاد وسيأمر بإعدام بدون محاكمة في ميدان عام.. يا للهول" وامتقع وجه اللواء، وهرب الدم من وجهه.

مد الشيخ الشاب معلول يده أمام اللواء من الناحية اليمنى، وكذلك فعل بنعامي ذو السوالف في لون الثلج من الناحية اليسرى، فلم يجد اللواء بدا من مجاراتهما، ورفع كأس النبيذ الأحمر في لون الدم، وتبادلوا الأنخاب. ولم يستعد اللواء رباطه جأشه إلا بعد أن جرع نصف الزجاجة.

بعد أن سيطر اللواء على أعصابه بدرجة كبيرة، تذكر ما قاله له ماريو، حين قابله في الصباح، وانطلقت بهم السيارة العاجية ذات المقاعد الحمراء:

"عندما نصل إلى وجهتنا يا لواء لا مجال للتراجع".. فأومأ له اللواء.

أكل اللواء بشهية مفتوحة من تأثير النبيذ، إلى أن أحس بماريو يهمس خلف أذنه اليسرى:

— حان الأوان يا لواء.

استئذن اللواء من أصحاب المائدة، وتبع ماريو خارج الخيمة الكبيرة عبر الحديقة، ودخلوا القصر، ثم ساروا في ردهة طويلة. نظر اللواء تحت قدمه، فرأى البلاط من لونين فقط، أبيض وأسود، كما رقعة الشطرنج. وعلى حوائط الردهة علقت أسلحة، كانت تستخدم في الحروب القديمة: سيوف دروع رماح. وتعجب من برجل ذهبي كبير في آخر الردهة، تحته باب صغير، فتحه ماريو، وابتسم للواء ثم أشار له بالدخول، فأضطر اللواء إلى إحناء قامته، ليتمكن من العبور من الباب الصغير نسبيا.

دلف اللواء إلى قاعة واسعة بسقف عالٍ تتوسطها نجفة عملاقة مضاءة بالشموع، وجميع أركان القاعة عبارة عن مكتبة كبيرة، وفي ركن بعيد في القاعة مكتب كبير، يجلس خلفه شبح، لم يتبين اللواء ملامحه. أمسك ماريو بذراع اللواء الأيسر مسكة، أحس اللواء أن قبضة حديدية تقبض على روحه.. وساروا في اتجاه المكتب الكبير، على أرضية تشبه رقعه الشطرنج.

وجد اللواء نفسه أمام المكتب الكبير، وما زال لا يتبين ملامح الشبح، القابع خلف المكتب الأسود الكبير ذي النقوش، التي تمثل وحوشا اسطورية. بالفعل كانت الإضاءة خافتة، والموقف يدعو للخوف، إنما أعصاب اللواء كانت هادئة لحد كبير، وكان مفعم بالثقة، ربما من تأثير النبيذ الأحمر، الذي كان يصبه له بنعامي بكرم بالغ.

– يا سيد.. أقدم لك اللواء العظيم بكل فخر

قالها ماريو بصوت مسرحي، مما أضحك اللواء. قام الر جل من على الكرسي خلف المكتب، وشد على يد اللواء بكلتي يديه، مما أشعر اللواء بخدر لذيذ، وقال:

– اسمح لي أن أقدم نفسي.. أنا رجل أمتلك ثروة، وأقدر الذوق الرفيع يا لواء يا عظيم.. اجلس أرجوك، أنا في انتظارك منذ زمن غير قليل.. اجلس يا بني

وأشار له على مقعد أمام المكتب الأسود الكبير ذي النقوش. جلس اللواء، وتسني له تفحص الرجل عن قرب، فوجهه المدبب، وشعره الفاحم الناعم المسدل على كتفه، وأنفه الحاد وحواجبه الكثيفة جعلوا اللواء يشعر أنه قابله من قبل.. لكن أين؟!

جلس اللواء على المقعد المريح، وأراح ذراعيه على مسندي المقعد، ونظر حوله فلم يجد ماريو، فشخص ببصره فلم يجد له أثرا! فاستدار وهو جالس، ليبحث عن باب الخروج كعادته، فلم يتبين مكانه.. فكر اللواء أنه لا داعي للخوف.

أراح اللواء ظهره على المقعد الوثير، ونظر إلى الرجل، الذي بدأ في الكلام وهو يشعل سيجارًا لاتينيًا كبيرًا..

– أريد أن أعقد معك اتفاق يا لواء صفقة، كما تطلقون عليها في بلادكم. ما رأيك؟

ثم نفث دخان كثيف وهو ينظر إلى سقف القاعة.

- أنا يا سيدي جاهز للاتفاق.

رد اللواء على الفور بهدوء وثقة لا يدعيها، إنما هي حقيقة شعوره بالقوة والطاقة، منذ أراح ظهره على المقعد الوثير، أمام المكتب الأسود الكبير ذي النقوش.

- أنا سعيد.. وكنت واثق من اختياري لك منذ البداية.

رد الرجل، وأضاف:

- أنا أعرفك من زمن طويل، فأنا كنت في جميع الأنحاء منذ الأزل، وتدخلت في قدر وحياة رجال وأمم، ولعبت جميع الألعاب أنا وأولادي.

في رأس اللواء كانت تسيطر فكرة واحدة، وهي أن هذا الرجل الكريم هو رئيس مخابرات الغرب، وبصدد تجنيده، فما الداعي لكل هذي الخطب والحكايات، مادمت وافقت أن أعمل معهم، وأخون قائد الثورة طويل القامة والبلاد. وكانت فكرة العمل مع مخابرات الغرب تروق للواء، خاصة بعد ما شاهده في الغرب من حضارة وتقدم ورفاهية. وكذلك الأصالة والتاريخ، زائد ما لمسه في حفل اليوم من مظاهر غنى واضح وذوق رفيع. أتمنى أن يتطرق الرجل إلى الجزء الخاص بالنقود، وكم يعرضون من أموال مقابل خدماتي ومقدار..

أفاق اللواء على صوت ضحكة من الرجل الجالس خلف المكتب الأسود الكبير ذي النقوش.

– أظن يا لواء أن ماريو قال لك أكثر من مرة إننا لسنا جهاز مخابرات، ولا نعمل في هذه الأمور التافهة.

انتفض اللواء من على المقعد الوثير، كمن رأي أسدًا جائعا، وأطلق ساقيه للريح في اتجاه الباب، الذي كان يظن أنه قريب. لكنه وصل إلى ركن من أركان القاعة، فلم يجد غير المكتبة، وأرفف عليها كتب كبيرة، بلغة لا يعرفها. فاستدار، وعدا للجهة المقابلة، فلم يجد باب الخروج، واصطدام بالمكتبة والكتب ذات الأغلفة الغريبة. كان اللواء في حاله ذعر هيستيرية، خاصة عندما سمع ضحكة مدوية تملأ القاعة الكبيرة، تكاد تخترق طبلة أذنه، وتنفذ إلى مخه. استمر اللواء في العدو، واضعا كلتي يديه على أذنه، حتى سقط من التعب .

أفاق اللواء وهو جالس على المقعد الوثير، أمام المكتب الأسود الكبير ذي النقوش، والرجل ينظر إليه نظره كلها ود وأبوة.

– ألم يقل لك ماريو في السيارة إنها نقطة اللا عودة يا لواء؟.. أتريد أن تهرب مني، وأنا أريد أن أساعدك؟ أتريد أن تهرب من مستقبل واعد؟؟ أتريد أن تهرب من العظمة والعمر المديد أتريد أن تهرب من الخطط، التي وضعتها لك لكي تتحكم في مصير أمة.. لكي تقود شعبك نحو المجد؟ تهرب من ملك سوف أضعه بين يديك، ورقاب أشجع الرجال تحت قدميك؟ تهرب من القصور المليئة بالنساء من كل بقاع المعمورة، والذهب والمجوهرات التي تفيض بها خزائنك؟ تحاول أن تهرب من الملايين الذين سيهتفون بحياتك، ويتغنون بمجدك في المدارس والجامعات وربوع الدولة؟..

بدأ اللواء يشعر بالتحسن تدريجيا، ثم قام الرجل من خلف المكتب الأسود الكبير ذي النقوش، ووقف خلف المقعد الوثير الذي يجلس عليه اللواء، ووضع كفه على كتف اللواء، مما أشعره بدفء وحميمية.

— يا لواء يا عظيم، أنا كما قدمت لك نفسي رجل أمتلك ثروة وفكر وذوق رفيع، لا أحد يهرب مني، سواء كان شاعرًا صعلوك أو قيصر يمتلك جيوشا. لقد قتلت منهم كثيرين.. وكما قلت لك، لقد جلت العوالم جميعها وكنت في الخندق مع الجنود، وفي القصور مع الملوك على ظهر خيول، والدماء تغرق الحقول ووسط الحرائق بين عويل الأمهات ورائحة البارود . أشعلت ثورة وأخمدتها.. هل خمنت من أنا؟.. يمكنك أن تدعوني السيد أو ادعوني كيفما شئت.. أقول لك.. ادعوني أبي.. نعم أبي.. أنا أبوك يا لواء.. أبوك، الذي أمسك بك كطفل في المهد في قريتك النائية المنعزلة في أقصى جنوب البلاد، أنت لا تتذكرني. أمك ماتت أثناء ولادتك.. أبوك الذي رباك كان رجلا فظا، كان يشرب الخمر الرخيص حتى يقع. تزوج أكثر من ثلاث مرات، ولم ينجب غيرك. كان يضربك ويقول عليك ابن حرام، كل هذا لأنك ابني.. ابني الذي كنت معه خطوة بخطوة.

كنت معك عندما تعلمت المشي والكلام، وكنت تسرق بيض الدواجن من حظيرة الجيران.. كنت معك عندما كنت تقود أقرانك، وتغمروا الجرذان في السوائل المشتعلة، وتلقوهم في الحقول قبل الحصاد لتحرقوها في اليالي الحالكة الظلام.

كنت معك عندما كنت تقنع أقرانك أنه يجب أن تلوط بهم في الخراب حتى يصيرو رجالا.. كنت معك عندما كنت تسرق الخمر الرخيص من أبيك وتستمني في الخلاء، وأنت تشاهد مخبولة القرية عارية.

ألا تتذكر كيف أصبحت رجلا؟ ألا تتذكر حرفوش. حرفوش القاتل قاطع الطريق، الذي كنت تقابله مختبئا تحت الكوبري الكبير في طريقك إلى المدرسة.. حرفوش الذي أصبح أعز أصدقائك، الذي كنت تسرق الطعام وتتقاسمه معه.. حرفوش الذي طلبت منه أن يعلمك ضرب النار، حتى تصبح رجلا.. حرفوش الذي طلبت منه أن يساعدك أن تقتل نفسًا حتى تكتمل رجولتك. كنت معكم في هذه الليلة.. تتذكر؟.. كان القمر مكتملا بعد المغرب بقليل، عندما اختبأتم في الزراعات القريبة من شارع السوق، وأطلقت عيارًا من بندقية حرفوش، وأصاب أول شخص خارج من شارع السوق في رأسه. كنت معك عندما شعرت أول مرة في حياتك بالطاقة تملأ روحك وقلبك، وكدت تطير من النشوة.. كنت فخورًا بك فخر الأب بابنه.

كانت كلمات السيد ترن في عقل اللواء، وعينه لا ترى إلا شريط ذكريات يمر أمامه، لكن الشيء الجيد أن الطاقة عادت له، وبدأ يشعر بالقوة تدب في أوصاله. أضاف السيد:

– أنا معك يا لواء أنير لك الطريق إلى المجد.. الطريق إلى أن تتحكم ولا تحكم فقط.. اتبعني يا لواء، اتبعني يكون العالم طوع أمرك.. اتبعني يا لواء وادخل مملكتي، مملكة السيد المنتصر دائما، القوي الذي يغدق على أتباعه الثروة والنفوذ والجاه.. اتبعني وتعاون

مع أخوتك لكي تمهدوا لي طريقي لكي أسود العالم.. حينها فقط سوف يصحو جميع أتباعي منذ فجر التاريخ، ونسيطر على العالم، وأصبح أنا ألسيد وأنتم جنودي، الذين سيكونون ذراعي، وعندها تكتمل قوتي، وأقضي على جميع أعدائي، وتدخلون جنتي الأبدية.

تساعدني كابن مطيع، وكما قلت لك إنها صفقة تفيد وتستفيد. ستكون السيد المطاع في منطقتك، وتنفذ سياستي البسيطة السهلة، وهي إفساد العباد وتدمير البلاد، بالتالي تسيطر عليهم بكل سهولة. إن الإنسان يا لواء يا ولدي العزيز (قالها السيد وهو يضع يده اليسرى على رأس اللواء بكل حنان، والطاقة داخل قلبه وروحه تتزايد، ويشعر بقوة تكفي لتدمير أكبر الجبال على الأرض) الإنسان دنيء خسيس مغرور حقود شرير في داخله، ويقاوم كل هذا بكل ما يملك من قوة وطاقة يسميها الإيمان. هدفنا هو الاعتماد على أغبى الرجال، والقضاء على الأقوياء الأذكياء، لأنهم سيكونون عقبة في طريقنا.

عندما تحكم وتتحكم في بلدك يا لواء يا عظيم، يجب أن تولي أحقر وأسفل الناس، وتضع مصائر العباد في أيديهم، حتى رجال الدين يجب أن تكون متأكدًا من نجاستهم، عندما يصعدون على المنبر أو يخطبون في دور العبادة. آه كدت أنسى (قالها السيد وهو يقهقه من الضحك) هناك بعض أبنائي صدقوا أنفسهم، وأخذتهم الجلالة، بعد أن تمكنوا من البلاد والعباد، وخرجوا عن طوعي وعصوا أوامري، فكانت نهايتهم مأساوية.. لا أريدك أن تحذو حذوهم يا ابني العزيز العظيم الذكي.

رفع السيد يده من على رأس اللواء، لكن الطاقة داخل روح وقلب وعقل اللواء كانت تزيد بجنون.

وقف السيد أمام مقعد اللواء المريح، فقام اللواء ونظر في عين السيد لأول مرة، فشعر براحة وحب، وكاد يدمع من فرط العاطفة. اقترب السيد من وجه اللواء، حتى كاد أن يلامس وجهه، واستنشق اللواء أنفاس السيد، التي كانت ساخنة مثل دخان الشاي، لكن رائحته غريبة ليست زكية، إنما ليست منفرة. استنشق اللواء الدخان المنبعث من فم السيد، وشعر أنه في عالم آخر من السكر، وكل جسمه مخدر. حاول أن يفتح عينه، لكن جفونه لم تطعه، وشعر أن قدمه لم تعد تلامس الأرض، ثم سمع صوت السيد واضحا..

- هل أنت معي يا بني؟ هل تساعد أباك الذي رعاك طوال عمرك؟ هل أنت معي يا أقوى حكام الأرض؟

أخذت روح اللواء في التحليق في نشوة غامرة، كأنه طائر خفيف خف الريشة.

ما زال صوت السيد قوي يجلجل..

هل أنت معي يا طويل العمر

هل أنت مستعد للقوة والجبروت

هل أنت مستعد للمجد والأبدية في خدمة السيد

عندما ارتاح اللواء في وضعه الجديد، السابح في ملكوت السيد، فرد ذراعيه وزعق بعلو صوته..

— نعم يا سيدي.. نعم يا أبي.. أنا خادمك المطيع.. أنا ولدك.. أنا معك إلى الأبد.. أنا ....

فتح اللواء عينه بصعوبة، فوجد نفسه منهك القوة، على المقعد الوثير أمام المكتب الأسود الكبير ذي النقوش.. لكن السيد غير موجود. استجمع اللواء نشاطه، وأخذ يجول ببصره في أنحاء القاعة الكبيرة ضعيفة الإضاءة، فلم يجد أحدًا.

لم تمض ثوانٍ قليلة، حتى سمع صوت باب يفتح على جانب القاعة الكبيرة، ويخرج منه ضوء أحمر. وقف اللواء، واتجه نحو الباب، وهو يشعر بخوار في مفاصله، حتى وصل قرب الباب ذي الضوء الأحمر، ونظر داخله فوجد غرفة صغيرة، يقف في وسطها رجل عارٍ تماما، إلا من منشفة بيضاء صغيرة، تستر منتصف جسمه، مربوطة من الجانب بدبوس ذهبي، يشبه البرجل المفتوح .

دخل اللواء القاعة الصغيرة، فوجد أن الرجل شبه العاري لم يكن إلا ماريو. صاح اللواء مرحبا بماريو، الذي أشعره لقاؤه بالطاقة من جديد تدب في أوصاله، لكنه سرعان ما استغرب ملامح ماريو الخالية من أي تعبيرات.

تابع اللواء تقدمه نحو ماريو، الذي استدار وتقدم نحو باب آخر في الغرفة، سرعان ما فتح دون أن يلمسه، ودلف الاثنين إلى حجرة صغيرة مجاورة، تشبه غرف تغيير الملابس في الأندية الرياضية، مضاءة بمصابيح نيون قوية، وبها خزائن تغطي جميع أركانها.

أشار ماريو ذو الوجه الخالي من أي تعبيرات إلى خزانة وسط الخزائن العديدة، فانفتحت أوتوماتيكيا. فهم اللواء الإشارة، وخلع ملابسه على الفور كما ولدته أمه، وناوله ماريو منشفة بيضاء مثل التي يرتديها، لفها اللواء حول خصره، وأمسك ماريو بجانبه وغرز برجل ذهبي ليحكم وضع المنشفة.

كل هذا واللواء يشعر بتزايد الطاقة داخله.

خرج ماريو من الغرفة عالية الإضاءة، يتبعه اللواء. ومشيا في ممر معتم، قادهم إلى قاعة كبيرة، أرضيتها تشبه رقعه الشطرنج مضاءة بمشاعل كثيرة، وسقف القاعة شكل هرم، على قاعدته نقوش هيروغليفية، ونقوش عديدة لم يتعرف عليها اللواء.

وقف اللواء مشدوها في منتصف القاعة، ونظر أمامه، فوجد ماريو يسجد أمام سلم كبير، على قمته يجلس السيد، يرتدي عباءة بيضاء ناصعة البياض، على مقعد ذهبي ضخم يشبه العرش.

قام ماريو من سجوده، وواجه اللواء، وقدم له كأسا فضية مرصعة بأحجار حمراء، وخنجر بيد عاجية، فتناول اللواء الكأس بيساره والخنجر بيمينه.

تقدم اللواء نحو السيد، وركع على ركبته، وجرح كفه اليمنى بالخنجر العاجي، فسالت قطرات دماء في الكأس الفضية التي في يده اليسرى. نزل السيد بهدوء من على عرشه، وتناول الكأس من اللواء بيده اليسرى، ورفعها قرب عينه، وأسقط عدة دمعات في الكأس، ودعا اللواء للنهوض، ومد له يده اليسرى بالكأس ليشرب . نظر

اللواء للخليط في الكأس، فوجده كالسائل الأحمر يغلي وبه فقافيع، جرعه اللواء في رشفة واحدة، فلم يجد طعما للخليط، لكنه سمع صوت إيقاع منتظم، يشبه إيقاع قبائل القارة السمراء، وزاد وهج المشاعل مع زيادة الإيقاع. شعر بالطاقة تملأ روحه وقلبه، ووهج المشاعل صار في أحشائه.

كانت الطاقة هذه المرة أقوى بكثير من قبل. أحس بسخونة شديدة داخله، وأمسك معدته بكلتي يديه، وأخذ يتلوى كالمسموم، مما دفعه لمحاولة إخراج ما في جوفه، بعد أن وقع على الأرض من فرط الإعياء والحمى. أدرك أنها النهاية.. سوف يموت مثل الكلب المسموم في أرض غريبة.

ما زال اللواء يتلوى على أرض القاعة الكبيرة ذات السقف على شكل هرم، والأرضية مثل رقعه الشطرنج. كل ما يشعر به دوار ونار في أحشائه وإيقاع الموسيقي يعلو ويهبط، حتى اقترب منه السيد، ووضع يده اليسرى على رأسه، فاختفى الدوار. وفجأة وجد نفسه واقفا أمام السيد، وهو يشعر بقوة عظيمة، والطاقة تملأ روحه من جديد.

نظر إلى السيد، الذي كان ينظر إلى ركن في القاعة، ويضحك ضحكة تصم الآذان. نظر اللواء إلى سلم أحمر، يترل من دور علوي، وإيقاع الطبل يشتد، وإضاءة المشاعل أقوى.. كل هذا ممتزج مع ضحكات السيد والشعور القوي بالطاقة الذي يملأ روح اللواء.

نزلت من السلم امرأة شقراء غاية في الجمال والأنوثة، ذات جسم جذاب، تشبه نجمة الغناء الغربية الشهيرة، التي يري صورها في

كل مكان في عاصمة الغرب، من أول المطار إلى لافتات عليها صورها شبه عارية في أوضاع مغرية في الشوارع والميادين، حتى غرفته في الفندق، وجد مجلة سياحية بها إعلان عن حفلتها القادمة.. ربما كان استمنى وهو يحلم بها. إنها هي!.. لا يكاد يصدق عينه.. ونزلت السلم في خطوات راقصة ١٣ سلمة عدهم واحدة واحدة، لأنه كان ينظر إلى سيقانها المغرية، وهي ترتدي تنورة حمراء لا تخفي الكثير، وعارية الصدر. كانت تغني مع إيقاع الطبل بلغة غير معروفة للواء.. حتى لو كانت معروفة، لم يكن ليفهمها، لأن المغنية الغربية المغرية أفقدته عقله.

انفتح باب كبير في جانب القاعة، وخرج منه ٦ رجال زنوج مفتولي العضلات، يرتدون مناشف حول خصرهم، تشبه ما يرتديه اللواء، يحملون فراش من القطيفة الحمراء، ووضعوه أمام اللواء. في أقل من ثانية، كانت المطربة الشقراء قفزت على الفراش، ووقفت على أربع، وأخذت تنظر للواء نظرات كلها شبق. انصرف الرجال الزنوج، واقترب اللواء وهو يشعر بالطاقة تملأ قلبه وروحه وجذبته الشقراء المغريه وأخذت تداعب جسمه وأعضائه، وفي نفس الوقت تتحسس نفسها، كمن لها ألف يد وتتأوه تأوهات، جعلت كل الطاقة التي تملأ اللواء تتركز في نصفه الأسفل. وضع اللواء يده على صدرها البض، وأخذ يداعبها حتى أحس أنه سينفجر من الطاقة والرغبة في أن يأتيها في الحال، مثل وحش ضارٍ لم يقرب الطعام منذ مدة ليست قليله. نزعت البرجل الذهبي من جنبه بخفة، وأسقطت المنشفة من على خصره، واستلقت على الفراش ذي القطيفة الحمراء

مثل دم الغزال، ونزعت تنورتها، باعدت بين ساقيها الرخاميتين، ودعته للدخول بابتسامة تفيض بالأنوثة.

استيقظ اللواء في غرفته بالفندق، عاريا تماما. ظن في باديء الأمر أنه كان يحلم طوال الليل أحلاما غريبة. ربما أفرط في الشراب. لكنه، بعد أن اعتدل في جلسته ووضع رجله على أرض الغرفة، نظر في كف يده اليمنى، فوجد ضمادة، فنزعها بسرعة فوجد الجرح الذي أحدثه البارحة، عندما جرح يده بالخنجر ذي اليد العاجية ليملأ الكأس بالدم. وقف اللواء، ونظر إلى نفسه في المرآة، فوجد نفسه ينظر لأول مرة بإعجاب شديد إلى جسمه العاري، ووجهه الذي اتخذ ملامح القوة والعظمة، ورفع يده إلى أعلى وصاح

— دمت لنا يا سيد.

وأخذت الطاقة تتعالى.

بعد معاناة وألم شديد، أفلح اللواء في التبول قطرات قليلة في الثقب المخصص له في القمرة الزنزانة. وكان الجوع يقرص معدته. نظر إلى الطاولة الموضوع عليها الأكل، وتناول بيضة مسلوقة، التي لم يكن يحب أكلها، وأخذ قضمة، لكن طعمها ورائحتها أربكا معدته المرتبكة أساسا. نظر اللواء إلى الباب الحديدي المغلق عليه، فوجد فتحة صغيرة، تنظر منها عينان نظرة تحمل كثير من الحقد والكراهية. وتكلمت العين بسخرية..

— ما بك يا لواء؟ لا يعجبك الأكل أم ماذا؟ هذا الأكل أحسن ١٠٠ مرة من الأكل الذي يقدمه زبانيتك في سجونك في طول البلاد وعرضها. سجونك التي كانت منذ زمن بعيد حتى البارحة مغلقة على

أشرف شباب البلاد من عمال وفلاحين وطلبة شباب وفتيات مثل الورد.. سجونك التي كانت تمارس فيها أبشع وسائل التعذيب البدني والنفسي، ضد كل من يعارض سياستك أو يقول الحق.. ضد كل من أتى بفكرة أو مشروع فيه فائدة للبلاد والعباد. كانوا حتى الأمس يأكلون فضلات زبانيتك، وأنت لا تحتمل هذا الطعام، حتى تصل إلى منفاك يا فاجر يا قاتل يا....

– اثبت يا جندي

قالها زاعقا القبطان الشاب من خارج القمرة الزنزانة، محتدا على الجندي، الذي سارع بغلق الفتحة في باب الزنزانة، وأدى التحية العسكرية للقبطان الشاب.

أضاف القبطان، على مسمع من اللواء:

– التعليمات واضحة هي لا تعامل مع السجين حتى نسلمه إلى حاكم الجزيرة. إذا ضبطتك تبادله الحديث مرة أخرى، سوف أحاكمك عسكريا.

مع صيحة الحارس "تمام يا قبطان" أخذ اللواء يتساءل.. "جزيرة.. منفى!.. آه تذكرت الآن.. لن يقتلوني.. حسنا ما زال أمامي فرصة للعودة ولأنتقم من هؤلاء الأطفال الحمقى. سوف أجد ماريو في انتظاري في الجزيرة، وبالطبع أعد خطة جهنمية لعودتي، ونسيطر على الوضع من جديد.

أحس اللواء ببعض التفاؤل من هذه الفكرة، وأخذ يفكر في كيفيه إعدام الثوار، حتى يكونوا عبرة لمن تسول له نفسه الانقلاب على

اللواء الأب القائد الملهم المظفر، صانع مجد البلاد، صاحب التاريخ الحربي المشرف والانتصارات المجيدة.. اللواء الذي يشيد بحكمته كل زعماء العالم.. اللواء الذي جنب البلاد صراعات وحروب كثيرة بحنكته وذكائه.. اللواء.....

اللواء أثبت براعة وطنية فريدة ومثابرة وذكاء شديد في مفاوضاته مع وزير الغرب. كانت الجملة الأخيرة ترن في القمرة الزنزانة، بصوت قائد الثورة طويل القامة، فارتعب اللواء، ونظر في أنحاء االقمرة الزنزانة، فلم يجد الفراش ذا الرائحة الكريهة، إنما وجد طاولة عليها مفرش أبيض وعلب سجائر وطفايات من الكريستال، ويجلس عليها ٣ أفراد في المنتصف: قائد الثورة طويل القمة، على يمينه نائبه القصير الخبيث، وعلى يساره اللواء. اقترب اللواء وهو في حالة رعب من المشهد، وحاول أن يلمسهم، فلم يجد غير دخان، فرجع بظهره إلى الوراء، حتى اصطدم بالحائط، وسمع قائد الثورة طويل القامة يكمل..

– هذا يوم تاريخي يا أبناء البلاد الأحرار. لقد وافق الغرب على الانسحاب من جميع القواعد البحرية، التي يسيطرون عليها في بلادنا وعلى شواطئنا.. هذا يوم مشهود يا ثوار.. يوم العزة والكرامة.. يوم البدء في نهضة البلاد.. يوم الاستقلال التام عن الغرب المستعمر الذي نهب موارد البلاد واستعبد شعوبنا. حان الأوان لنتقدم نحو المستقبل الواعد، ويجب علينا أن نعمل بهمة وجد، حتى نكون من مصاف الأمم. فنحن شعوب لها تاريخ ثري من

الحضارة والعلوم. لقد كانت أمتنا تعيش في النور وكان الغرب تائه في الجهل والخرافات. انتهى عصر التبعية العمياء للغرب.. سوف نمتلك صناعة وطنية.. سوف نأكل ما نزرع.. سوف نلبس ونركب ما نصنع.. سوف يتملك الفلاحين أرضهم.. سوف يتقاسم العمال أرباح المصانع.. سوف نخطط لنهضة تعليمية، ونرسل أبنائنا ليتعلموا في شتى أنحاء الأرض، ليعودو ويفيدوا البلاد. سوف ندعم قواتنا الحربية حتى نحافظ على حدودنا ونسترجع أراضي ومقدسات أمتنا المسلوبة.. سوف ننتصر على أعدائنا الفقر والجوع والمرض .

إن هدفنا هو القضاء على الاستعمار في أمتنا الكبيرة، ونتحد ونصبح أمة واحدة يجمعها الدين واللغة ووحدة الهدف، ولن ننسى القارة السمراء، التي ترزخ تحت احتلال الغرب لها.. سوف نمد أيدينا إلى كل حركات التحرر في الأرض.

ضجت القمرة الزنزانة بتصفيق حاد مثل العاصفة الهوجاء، مما حدا باللواء الذي كان يقف مذهولا إلى أن يسد أذنيه، حتى لا يصاب بالصمم .

شعر اللواء بدوار وعدم قدرة على الوقوف وتسارعت دقات قلبه، وارتمى على الفراش ذي الرائحة الكريهة، وما زال يسمع صوت عاصفة التصفيق لكلام قائد الثورة طويل القامة، وتذكر بعد هذه الخطبة التاريخية، عندما استدعاه قائد الثورة طويل القامة إلى مكتبه، بحضور نائب قائد الثورة القصير الخبيث، ولفيف من اللواءت والوزراء.

بعد أن استقر الجميع في مقاعدهم، جلس قائد الثورة طويل القامة خلف مكتبه، وأشعل سيجاره، وتكلم بحماس ومعنويات عالية عن اللواء ودوره المحوري في إنهاء المفاوضات على هذا النحو، بشهادة وزير الغرب نفسه، وهذه النتيجة تعد أول انتصارات الثورة

التف جميع من في المكتب حول اللواء يهنئونه ويثنون على براعته، إلا النائب القصير الخبيث، الذي أشعل سيجاره وأكتفي بالتصفيق بعدم اهتمام. طلب قائد الثورة طويل القامة من الجميع الانصراف إلا اللواء، حتى عندما ظل النائب القصير الخبيث في مكانه نظر له القائد نظرة لا تعني إلا اتركنا وحدنا. عندما خرج النائب متثاقلا متأففا، بدأ القائد في الكلام.

– يا لواء لقد تخطيت جميع زملائك من حيث الكفاءة والولاء للثورة، وأصبحت الآن من أقرب الشباب للثورة وللوطن ثم لي.. لهذا سوف أكلفك مع قيادة أركانك أن تعد خطه لتأمين حدودنا البحرية من أي اعتداء، وأريدك أن تعد قائمة بجميع الأسلحة والمعدات التي تحتاجها، لأنك سوف ترأس الوفد المسافر إلى عاصمة الكتلة الشرقية لتفاوض على شراء أسلحة جديدة. لقد أثبت جدارة في مثل هذه المهمات.

نهض اللواء، وأدى التحية للقائد، وخرج من المكتب والطاقة تملأ قلبه وروحه.

يومها أدرك اللواء قوة السيد، وإن خطة تصعيده إلى سدة الحكم تسير من نجاح إلى نجاح.

يهتز اليخت الفاخر جبار البحار بعنف في المحيط، والقمرة الزنزانة أصبحت مثل علبة صفيح يلعب بها طفل في الشارع، مما أثار معدة اللواء وملأها بالغازات التي واجه اللواء صعوبة في إخراجها، وأحس إن معدته على وشك الانفجار.

أمسك اللواء بكلتي يديه الفراش ذي الرائحة الكريهة، وأحس بقهر شديد ورغبة في البكاء، وعلى صوته وهو يخاطب نفسه سائلا كيف يحدث هذا لي بعد كل المجد والقوة والعظمة، التي كنت أرفل فيها كيف يتركني السيد لهذه النهاية المذلة ملقى ككلب مريض في قمرة زنزانة مستلقٍ على فراش ذي رائحة كريهة على متن يختي الفاخر، وأحدث يخت في العالم اليخت الذي يحسدني عليه أغنى الملوك والأباطرة، اليخت الذي اشترط على صانعه الغربي ألا يصنع مثله أبدا. كيف؟ كيف؟ أين أنت يا سيد؟ قالها صارخا، حتى الحرس سمعوه وهو يصرخ، وابتسموا وأيقنوا أنه يهذي.

– أين أنت يا سيد؟ كل مرة كنت أقولها كان يظهر لي ماريو في الحال.. أنا أريدك يا سيد.. أحتاجك بشدة أكثر من أي وقت مضى. ألم تقل لي إني ابنك؟ هل يترك الأب ولده للعذاب والذل والمهانة بهذا الشكل؟ كلما ارتفع صوت بكاء وعويل اللواء، كلما زاد الحرس خارج القمرة الزنزانة في الضحك والقهقهة. واستمر اللواء في النداء.. على السيد تارة، وماريو تارة أخرى، حتى شعر ببرودة تدب في أوصاله. كان اليخت يهتز أقل الآن، ومد اللواء يده على جانبه باحثا عن غطاء أو ملاءة ليحتمي من هذا البرد المفاجيء،

فلم ينجح في الحصول على شيء، مما زاد من بكائه، وزاد عليه الرعشة التي أصابته من حراره القمرة الزنزانة، التي انخفضت بدرجة كبيرة، حتى عجز اللواء عن تحريك أطرافه، ونظر حوله فوجد أن الثلوج تغطي الطاولة والأرض وصينية الأكل، حتى صنبور المياه الذي في ركن الغرفة تغطيه الثلوج، وقطرات الماء التي كانت تتسرب منه أصبحت مجمدة على شكل خط يمتد إلى الأرض

– واصل اللواء الارتعاش، وشعر بدنو أجله، ونظر إلى سقف القمرة الزنزانة، فوجد حبيبات الثلج التي تشبه كرات القطن الصغيرة تتساقط كالمطر على عينيه ومنخاره، مما أعجزه عن التنفس.

فوضع يده ليسند على درابزين سلم الطائرة، التي هبطت لتوها في مطار عاصمة الكتلة الشرقية، ونزل ببطء، حتى لا يقع بعد أن ربط أزرار معطفه الكشمير، الذي اشتراه من عاصمة الغرب، ولف الكوفيه الصوف التي ابتاعها من أفخم متجر في عاصمة دولته، ووصل إلى أرض المطار، التي كان يتساقط عليها الثلج بغزارة منذ عدة أيام، ويتوقع أن تستمر الثلوج في الهطول طوال الشتاء، كما قال له قائد الطائرة لحظة وصولهم، لكنه لم يتخيل كل هذا الصقيع، الذي يكاد يفتك به.

– أنا اسمي ديمتروف أرحب بك يا لواء أنت، والوفد المرافق لك.

قالها بلغة اللواء رجل يرتدي معطف أسود، ويضع قبعة صوفية مربعة من الفرو البني على رأسه. صافحه اللواء، وهو ينظر إلى وجهه

المستدير وأنفه الأحمر، واستغرب من رائحة أنفاسه التي ذكرته بالكحول .

ألقى اللواء بنفسه على المقعد الخلفي في السيارة السوداء الفارهة، التي كانت في انتظاره، وأغلق بابها خلفه بسرعة هاربا من هذا البرد القارص. دار ديمتروف حول السيارة واستخدام الباب الآخر، وجلس بجانب اللواء، الذي كان يرتجف كل جسمه، ويكاد لا يشعر بأطرافه .

انطلقت السيارة بهم مسرعة من باب جانبي في المطار، ونظر اللواء الذي بدأ يشعر بالدفء من نافذة السيارة، ولم يجد غير الثلج، الذي يغطي كل شيء الأرصفة البنايات السيارات المصطفة على جانبي الطريق، واشتم رائحة الكحول من جديد، عندما اقترب ديمتروف منه بجسمه الممتلئ، وهو يشير إلى مبنى كبير، وارتفاعه ملحوظ عن باقي البنايات، التي تفتقد ذوق وجمال الغرب. فنظر بدون حماس إلى البناية العالية، وهو يكتم أنفاسه حتى يتفادى رائحة الكحول المنبعث من فم ديمتروف، الذي صاح:

– هذه البناية فخر معمار الكتلة الشرقية. لقد أمر الزعيم بيتشيد ٦ منها في العاصمة وواحدة في كل مدينة رئيسية في الكتلة الشرقية.

عندما توقفت السيارة السوداء الفارهة أمام مبنى غريب، وفتح السائق الباب. نزل اللواء، وعبر باب زجاجي كبير مسرعا، حتى يتفادى البرد القارس، فاكتشف أنه في بهو الفندق المخصص لإقامته

والوفد المرافق له. وهنا أيقن أنه لا يطيق الكتلة الشرقية، ولن يعود إليها مرة أخرى. كيف يكون الفندق الأكبر في الكتلة الشرقية بهذا التواضع وعدم الذوق، وما هذه الرائحة العطنة التي أشمها منذ دخلت؟ إن أرخص فندق في الغرب أحسن من هذا المبنى الفقير في كل شيء.. الإضاءة، الأرائك، الأرضية.. ثم فعلا ما هذه الرائحة النتنة؟

بعد العشاء، الذي لم يقربه اللواء، اجتمع اللواء مع الوفد الاجتماع التقليدي، ليتلو عليهم تعليمات الأمن وتنبيه لهم بعدم السهر أو الخروج بدون إذن منه، وكان يضحك في سره حتى لو خرجوا في هذه المدينة البائسة، إذا لم يقتلهم الثلج سوف يموتون من الملل.

صعد إلى غرفته بعد أن ودع ديمتروف، على وعد بلقائه في الصباح الباكر للذهاب إلى مقر اللجنة المركزية، لبدء المباحثات

صعد اللواء إلى غرفته، فوجدها متواضعة، مقارنة بغرف الغرب. وما زاد من تعاسته وحنقه على الكتلة الشرقية، هو تذكره الشقراء الفاتنة التي زارته في غرفته في عاصمة الغرب. بدأ يشعر بالإثارة بمجرد التذكر، فقرر أن يأخذ دش قبل أن يخلد إلى النوم، ومازح نفسه قائلا:

– من الواضح أنك يا لواء لن تقرب النساء في هذا البلد التعيس.

حاول اللواء الاستحمام في الحمام الضيق جدا، فلم يجد الماء ساخنا، فأخذ يسب ويلعن. لكنه أدرك أنه يتكلم بصوت عال وقد

تكون الغرفة مراقبة بأجهزة تسجيل، فأخذ يغني أغنية شعبية، وقرر أن يدخن سيجاره وينام.

أمسك بعلبة السجائر، فلم يجد فيها إلا لفافة واحدة، فأشعلها، ونظر من شباك الغرفة، فوجد أنها تطل على نهر مجمد، يرسو به سفينة قديمة، من الواضح أنها لم تبحر من مدة طويلة، ونظر إلى الشارع، فوجده خالٍ تماما، وكان الساعة لم تتجاوز التاسعه بعد .دخل إلى الفراش، بعد أن أطفأ سيجارته وأطفأ الأنوار، وأغمض عينيه محاولا النوم. لم يمض أكثر من عشر دقائق، حتى شعر برغبة لا تقاوم في التدخين، فقرر أن يترل إلى موظف الاستقبال، ليعرف مكان أقرب متجر يستطيع أن يشتري منه سجائر.

خرج من المصعد ذي الرائحة العطنة، واتجه ناحية موظف الاستقبال، الذي كان يجلس وحيدا في ركن من البهو، أمامه براد شاي وفنجان فارغ، يدخن ويقرأ في جريدة. اقترب اللواء منه وحياه بلغة الغرب، فلم يلتفت الرجل ذو الشعر الأبيض المصفف إلى الخلف. نظر اللواء في وجهه، فوجده رجل مسن بأنف أحمر كبير، والشعر يملأ أذنه.

حياه اللواء بلغة دولته بصوت أعلى. فنظر له المسن مبتسما كاشفا عن أسنان صفراء نصفها ضائع . اشتم اللواء نفس رائحة الكحول النفاذة، التي شمها في وجه ديمتروف، وأدرك أنها الوودكا المشروب المفضل في الكتلة الشرقية لرخص ثمنها وفاعليتها في مقاومة البرد القارس.

حاول اللواء أن يسأله عن أقرب مكان لبيع التبغ، لكن اللغة لم تسعفه، فأخذ يقرب أصابعه من فمه مقلدا المدخنين، لكن عامل الاستقبال المسن أخذ ينظر له بعدم اهتمام. أمسك اللواء قلم من على الطاولة، ووضعه في فمه، وأخذ يمثل أنه يشعل لفافة تبغ، ويسحب أنفاسا وهمية، وينفث دخانا خياليا في الهواء. عندها ضحك عامل الاستقبال المسن، وظن أنه نزيل يعمل في أحد الفرق المسرحية قادما إلى الكتلة الشرقية من بلاد بعيدة، ليقدم عروض كوميدية فأراح ظهره على المقعد، وأخذ يضحك مستمتعا بأداء اللواء، الذي بدأ صبره ينفذ، وأوشك على صفع عامل الاستقبال المسن، الذي أخذ يصفق طالبا المزيد، مظهرا أسنانه الصفراء وأنفه يزداد احمرارا .

عندها أيقن اللواء أنه لا جدوى من المحاولة، ويجب أن يبتعد عنه، حتى لا يرتكب تصرفا أحمق، ويتحول الأمر إلى فضيحة دبلوماسية.

خرج اللواء من باب الفندق الزجاجي الكبير، وأختار أن يتجه إلى اليسار، ومشى عدة أمتار، حتى أدرك أن الجو برد أكثر من ٢٠ تحت الصفر وريح باردة تصفع وجهه. لم يتراجع، ومضى في الطريق مفتقدا دفء الفندق. مشى أكثر من ساعة حول الفندق وفي الشوارع الجانبية، فلم يجد أي حانوت مفتوح، وقرر العودة إلى الفندق، لأن التعب والبرد تمكنا منه تماما. نظر حوله في محاولة، لتبين طريق العودة، فلم يستطع تمييز الطريق، الذي جاء منه كل الأبنية تشبه بعضها، لافتات في الشارع بلغه لا يفهمها . الشعور بالخوف أصبح مصاحبًا للشعور بالبرد والتعب الآن، خاصة بعد أن بدأ الثلج

ينهمر، وأفقده القدرة على الرؤية بوضوح. هداه تفكيره أن يمشي إلى الشارع الرئيسي، ثم يستوقف سيارة أو رجل شرطة، ويستدل على الطريق. مضى في اتجاه الشارع الرئيسي، فلمح ضوءاً أحمر، ليس ببعيد، وشعر ببعض الراحة مع أن انهمار الثلج جعل تنفسه ثقيلا، واتجه ناحيته مهرولا. مشى أكثر من نصف ساعة، وكلما يخيل له أنه اقترب يبتعد النور الأحمر، حتى خيل له أنه يهذي من تأثير البرد والتعب. الثلج يملأ الشارع، مما تسبب في إنزلاقه ووقوعه أكثر من مرة.

شعر اللواء ببدنه يرتعش وقواه تخور، وأنه لا يقوى على المواصلة، فوجد دكة خشبية على جانب الرصيف، فسقط عليها من الإرهاق والبرد، وأخذ ينفخ في كفيه في محاولة يائسة، لإنقاذ نفسه من الهلاك من البرد.

تحسس اللواء رجله، فلم يشعر بها تطور الأمر سريعا، حتى فقد الإحساس بيده، فنظر إلى الأرض، وصرخ صرخة مكتومة:

– يا سيدي يا أبي يا صاحب المعجزات أنقذني.. أرجوك يا سيد.. يا سيد، أنا في أشد الحاجة إليك.. أتوسل إليك إذا خرجت من هذا الموقف سوف..

فقد اللواء الإحساس بالزمان برهة، وبدأ في الإفاقة. عندما بدأ يشعر بدفء غريب يدب في أوصاله المتجمدة في ثوانٍ، بدأ يشعر بيده، ثم أخذ يحرك رجله بسهولة، فعدل من جلسته على الدكة الخشبية، ونظر جانبه، فوجد رجل يرتدي معطفا أسود وقبعة مربعة من الفرو.

– ديمتروف عزيزي.

صرخ اللواء:

– أنت منقذ.. لقد كنت تراقبني بلا شك، كل هذا الوقت وعندما أدركت أني تائه ليس إلا، تدخلت وأنقذتني لن أنسى.......

نظر الرجل ذو المعطف الأسود إلى اللواء، وابتسم وخلع القبعة المربعة، فلم يكن غير ماريو بوجه المريح الدافيء .

قبض ماريو على يد اللواء بشدة، فشعر اللواء بدفء أكثر، وزال البرد من جسمه، وابتسم وهو يتأمل وجه ماريو الدافيء المريح وشعره المصفف بعناية، وقال:

– كنت واثق أن السيد لن يتركني لأموت من البرد في هذه المدينة البائسة.

وأضاف:

– كم أفتقدك يا صديقي العزيز.. كم هو شيء رائع رؤيتك.. كم...

نهض ماريو وأعطي ظهره للواء، ومشى ناحية اللمبة الحمراء، التي أصبحت فجأة قريبة جدا، وتبعه اللواء مثل شاة تتبع راعيها. تحت اللمبة الحمراء، كان يوجد باب فولاذي، لونه يميل إلى الرمادي.

بعد أن دق ماريو ٦ دقات، فتحت سيدة عجوز جسمها عريض شعرها الأصفر، تغطي نصفه بمنديل أحمر. أفسحت السكة، فدخل

ماريو، وخلفه اللواء، الذي اقترب من وجه العجوز، فلاحظ وجود شارب وذقن في وجهها .

شعر اللواء بدفء أكثر، عندما دلف إلى داخل الباب، ووجد حجرة ضيقة بسقف خشبي منخفض نسبيا، وبها مائدة خشبية طويلة تملأ الحجرة، يجلس عليها رجال يبدون مثل فلاحين الكتلة الشرقية بأجسامهم الضخمة وشواربهم وذقونهم الطويلة، لم يلتفتوا للوافدين الجدد، وكانوا منهمكين في الأكل والشراب، ويتحاورون ويضحكون ضحكات عالية، خلع اللواء معطفه، وناوله للمرأة العجوز المشعرة، مقلدا ماريو، وجلس مقابلا لماريو على آخر المائدة.

نظر اللواء لماريو، الذي كان يرتدي بلوفر أزرق من الصوف برقبة طويلة نظرة إعجاب ممزوج بالامتنان، واكتفي ماريو بابتسامة مريحة، أعقبها ضحكه، عندما وضعت فتاة شقراء قليلة الجسم، ترتدي بلوزة بيضاء ضيقة، تظهر حلماتها البارزتين زجاجة فوديكا وكأسين صغيرين مع طبق به خيار مملح. وابتسمت وانصرفت.

ناول ماريو اللواء كأسا، وهو يضحك في إشارة أنه فهم ما يدور في عقل اللواء من أفكار جنسية، تجمعه مع النادلة قليلة الجسم.

جرع اللواء الكأس في رشفة واحدة، وأكل خيارة مملحة في قضمتين. ثم جاءت الفتاة قليلة الجسم بالحساء الساخن، أعقبه طبق دجاج وكثير من البطاطس.

بعد أن فرغ من الأكل، أحس اللواء أن الطاقة عادت إلى جسمه وروحه، والتفت حوله يبحث عن الفتاة الشقراء قليلة الجسم، مما أثار قهقة ماريو، الذي فرغ من طعامه، وسأل اللواء:

– هل تريد شيئا آخر قبل أن نذهب.

أجابه اللواء:

– أنت تعرف ما أريد يا صديقي الماكر.

وانتاب الاثنين نوبة ضحك وقهقة شديدة، اختلطت مع ضحك الفلاحين شركائهم في المائدة، وتبادلوا الأنخاب معهم. قام ماريو بعد أن قرع كأس جديدة في صحة اللواء، وفي أثره اللواء، وبدل ما يتجه ماريو إلى باب الخروج على اليمين، اتجه إلى اليسار، وفتح بابا أسود، عليه نجمة خماسية حمراء، ودلف إليه، ونظر إلى الوراء، وأشار للواء أن يتبعه.

عندما دخلوا إلى غرفة تغيير ملابس فرح اللواء عندما وجد الفتاة الشقراء قليلة الجسم، التي ما زال حلمتاها بارزتين، وفي يدها منشفتين من القماش، وعلى وجهها ابتسامة بريئة. أخذ ماريو منشفة وخلع ملابسه كاملة، ولف المنشفة على خصره، وكالعادة فعل اللواء مثله، والفتاة، تنظر إليهم، وابتسامتها البريئة لا تفارقها، مما زاد من الطاقة دخل اللواء، وشعر بإثارة بالغة، وواضحة من تحت المنشفة.

قادقم الفتاة عبر باب زجاجي إلى قاعة كبيرة، أرضيتها من البلاط الأبيض والأسود، على شكل رقعة شطرنج كبيرة، وبها حمام سباحة مهول، حوله أبواب كثيرة مغلقة. كانت الإضاءة من نيون تشبه محطات قطار الإنفاق، وبعض المصابيح تضيء وتطفئ تباعا.

أحس اللواء بحرارة المياه في المسبح، بعد أن خلع المنشفة، وتبع ماريو في السباحة، إلى الجانب الآخر، حتى وصلوا إلى أريكة دخل المسبح الدافيء، وجلسوا متجاورين نصفهم الأسفل في الماء.

جلس اللواء ملاصقا لماريو، وكان يشعر بحالة مزاجية رائعة، وشعور بالطاقة داخله يتزايد، خصوصا أنه من أقل من ساعة كاد الصقيع أن يفتك به، وكان من المفترض أن يكون جثة هامدة ملقاة في شوارع عاصمة الكتلة الشرقية. لم تمض ثوانٍ، حتى اقتربت منهم الفتاة الشقراء ذات الحلمتين البارزتين والنظرات البريئة، مرتدية منشفة حمراء صغيرة حول خصرها، وصدرها الصغير عارٍ، حاملة صينية، وجلست على ركبها بين ماريو واللواء الذي كان يركز عينيه بشبق في جمال صدرها. وضعت زجاجة الفودكا وطبق به عيش أسود وطبقين، أحدهما به زبد والآخر به شيء أسود يشبه الكرات الصغيرة جدا.

صب ماريو كأسين، وناول اللواء كأسه، وشربوا نخب لقائهم في عاصمة الكتلة الشرقية. فرغوا من الكأس الأولى، وناول ماريو اللواء قطعة من العيش الأسود، بعد أن دهنها بزبدة، وأضاف بملعقة فضية من الكرات السوداء الصغيرة جدا. ما إن تذوق اللواء أول قضمة، حتى شعر بالطاقة تنمو داخله أضعافا مضاعفة. ناوله ماريو كأس فودكا جديد، فجرعه في رشفة واحدة، وأجهز على باقي الكرات السوداء الصغيرة جدا، التي عشق طعمها، والشعور التي تعطيه.

ابتسم ماريو، وضحكت الفتاة ذات الصدر الصغير، وسأله ماريو ضاحكا..

– هل أعجبك الكافيار يا لواء يا عظيم

لم ينتظر إجابة، وأضاف أن الفودكا والكافيار هم أحلى ما في الكتلة الشرقية. عندها وقفت الشقراء، وخلعت المنشفة الحمراء،

كاشفة عن بقية جسمها الرائع، وقفزت في الماء، فنظر لها ماريو وهو يتفادى الماء الذي تناثر عليهم والبنات أيضا .

قهقه اللواء، وصب كأسين وأجاب:

– أنا أكره عاصمة الكتلة الشرقية، أكره ناسها وغبائهم، أكره فنادقها أكره شوارعها.. لا وجه للمقارنة برفاهية الغرب وحداثته وجماله ونظامه.

ابتسم ماريو، وأيد اللواء فيما يقوله، وأضاف أن الكتلة الشرقية هم أعداء الغرب، وأعداء السيد، وهذا النظام سوف يسقط عاجلا أو آجلا.

– يسقط! كيف يسقط؟

رد عليه اللواء بدهشة..

– ألم تشاهد المباني العملاقة؟ ألم تسمع عن ترسانة الأسلحة التي يمتلكوها؟ إن خبراءهم يملئون بلادنا.. إن قائد الثورة طويل القامة ينوي أن ينقل عنهم كل شيء: مصانع عملاقة، جيش قوي، جامعات حديثة، زراعة مهولة و..

قاطعه ماريو..

– يا لواء يا عظيم، خطة السيد بسيطة. فهي تركز على الإنسان. هل تظن أن السيد سيشعل حربا بينهم وبين الغرب، تكلف الغرب الكثير، وتأتي على الأخضر واليابس؟ سوف يسقط الكتلة الشرقية بدون طلقة واحدة.

صب اللواء كأسين، وأنصت لماريو باهتمام..

– الإنسان يا لواء.. النفس البشريه يا عزيزي.. شركات السيد، في غضون سنوات، سوف تتكتل في كيان عالمي من شركات موارد طبيعية، أدوية، أسلحة، سيارات، أجهزة تكنولوجية، ملابس.. حتى شركات الحلويات والمرطبات، سوف يدقون على أبواب الكتلة الشرقية بعنف. إنسان الكتلة الشرقية يعيش بلا كماليات تقريبا.. إنسان الكتلة الشرقية ينظر إلى الغرب كأنه الجنة الموعودة، من سيارات فارهة، وكماليات، ورفاهية، وأحدث الموضات، الرغد في المعيشة. زائد أن للسيد أبناء مخلصين داخل النظام بالطبع، يا لواء يا عظيم.

ناول ماريو اللواء قطعة عيش أسود، مليئة بزبد وكافيار، وقال:

– أما بالنسبة لقائد الثورة طويل القامة، فلن يكمل خطته في إنشاء مصانع وخلافه.

ظهرت الشقراء ذات الصدر الصغير من تحت الماء، وجلست على ساق ماريو، وأخذت تقبله على وجه ورقبته بهدوء وبطء شديد، وهي تنظر للواء، مما أثار اللواء أكثر، وصب لنفسه كأسا، فبادره ماريو قائلا:

– بالمناسبة يا لواء .. قائمة الأسلحة الموجودة في حقيبتك في الفندق تم تعديلها قليلا.

لم يفاجأ اللواء، وهز رأسه موافقا ومرحبا، وأضاف ماريو:

– في كل الأحوال السيد غير قلق من صفقة الأسلحة، لأن الكتلة الشرقية لن تعطيكم أحدث الأجيال من أسلحتها أبدا، حتى

تكون بلادكم دائما في حاجه إليهم. وأولاد عمكم معهم أسلحة متطورة، تفوق ما عند أمتكم مجتمعة، فموازين القوة في المنطقة لن تختلف، لأن أولاد عمك يحصلون على أحدث الأسلحة، وسوف يظل الفرق بين أسلحتكم وترسانتهم ١٠ سنوات في أقل تقدير .

لم يبد اللواء أي اعتراض، بالعكس وافق على كل كلام ماريو، وجسمه ينتفض من الطاقة والرغبة، وهم أن يضع يده على مؤخرة الشقراء؛ لكنها أمسكت يده، وأشارت بها إلى الجانب الآخر من المسبح ـــ فرأى فتاتين عاريتين، تقفزان في الماء، واختفتا، حتى شعر بيد تداعب نصفه الأسفل، وظهرت من تحت الماء فتاتين، واحدة شقراء وممتلئة الجسم قليلا، خاصة عند النهد، والآخرى شعرها أسود من الليل وعيناها زرقاء مثل البحر، جسمها متناسق

خرجت الفتاتان من المسبح، ونظر اللواء إلى مؤخرتيهما الجميلتين، وكاد أن ينفجر، فقام وتبعهما، وهو في حاله هياج جنسي شديد. ومشي في وسطهما، فأمسكتا بيديه، ودلفوا إلى غرفة مقابلة دائرية الشكل، بها إضاءه حمراء خفيفة، كل جوانبها مغطاة بمرايا، حتى السقف به مرآة، وبها سرير عليه مفرش حرير أحمر. نظر إلى جانب الفراش، فوجد زجاجة شمبانيا كبيرة، وطبق مليء بالكافيار، الذي أصبح أكلته المفضله منذ الآن.

دفعت الفتاتان اللواء دفعة قوية، فوجد نفسه على ظهره على المفرش الحريري، والفتاتان تضحكان بمجون.

قضى اللواء وقتا رائعا وهو يضاجع الفتاتين بأوضاع وطرق كثيرة وممتعة.. حتى فرغ من إتيانهن أكثر من مرة، فقرر أن يأخذ هدنة من

هذه المعركة الجنسية، ويستمتع بالكافيار مع كأس شمبانيا. وهم أن ينفذ خطته، لكن الفتاة السمراء كانت أسرع منه، وقفزت برشاقة مذهلة، وخطفت الشمبانيا وطبق الكافيار، واقتربت من الشقراء، التي كانت تعض على شفتيها، وتنظر للواء نظرات مغرية. وجلست الفتاتان في منتصف الفراش الدائري متقابلتين، وأفرغت السمراء ذات الجسم المتناسق زجاجة الشمبانيا على جسم الشقراء ذات الجسم الممتلىء عند النهدين، ثم لعقت أصابعها وهي تنظر للواء بمجون، ووضعتهم في طبق الكافيار، وأخذت تدهن نهود الشقراء ببطء . ما إن فرغت، حتى استلقت الشقراء بجانب اللواء، الذي أخذ يأكل الكافيار الممزوج بالشمبانيا من على نهدها وجسمها الشهي.

فتح اللواء عينه، فلم يجد غير سقف القمرة الزنزانة. مع أن طعم الكافيار الممزوج بالشمبانيا ما زال في فمه!.. شعر اللواء ببرودة، مع اكتئاب شديد، ورغبة عنيفة لا تحتمل الانتظار في التبول.. وصرخ:

– ما هذا العذاب؟ ما هذه النهاية المهينة؟ هل سأموت على هذا الفراش ذي الرائحة الكريهة؟ لم يكن هذا اتفاقي معك يا سيد.. هل خالفت وعدك أم ماذا؟..

ما زال يشعر بألم في قدمه.. واعتدل وحاول النهوض، فلم يستطع.

كم أفتقد طبيبي الخاص وحقنه السحرية.. حقنة الصباح، حقنة النكاح، حقنة الخروج..

وأخذ يهذي بكلام غير مفهوم، مما أثار ضحك أفراد الحراسة خارج القمرة الزنزانة.

شعر بكبت شديد من ضحكاتهم، فتحامل على نفسه، واتجه ناحيه الباب، وأخذ يدق عليه بكل ما أوتي من قوة، وهو يسب ويلعن ويصرخ..

— أريد أن أخرج إلى السطح.. أريد أن أتكلم مع القبطان.. أريد أن أرى الشمس يا خونة يا أنذال يا ناكري الجميل.

حتى فتح الباب أخيرا، وسمع الجندي يقول:

— لقد وافق القبطان على تجولك على السطح لمدة ٥ دقائق.

تناول اللواء بذلته وأحكم أزراره، وهم أن يرتدي حذاءه، لكن قدمه كانت متورمة بشكل كبير، فصرف نظر، وخرج من القمرة الزنزانة حافيا، مما جعل شكله كاريكاتيريا، وهو يرتدي بدلته كاملة، وحافي القادمين .

مشى الحارس في اتجاه السلم، المفضي إلى السطح. فطلب اللواء منه أن يمشي ببطء، لأن قدمه تؤلمه. فتمهل الجندي على مضض.

— ما أسمك يا بني؟

همس اللواء بهذا السؤال في أذن الجندي اليسرى، فلم يجب الجندي، وظل ينظر أمامه.

لم يستسلم اللواء، وأعاد السؤال بصوت يملأه الحنان الأبوي، فرد الجندي بحدة:

— التعليمات تقضي بعدم التحدث إليك تحت أي ظرف.

– ألا يوجد عندك رحمة برجل مسن، في أيامه الأخيرة، يصارع المرض والحبس الانفرادي، وخيانة أقرب الناس إليه؟.. لكن هذ الرجل يقدر أن يجعلك أغنى من في البلاد وأقواهم.. هذا الرجل المسن يملك مفتاح مستقبلك المشرق، إذا ساعدته على الخروج من هذا المحبس، وتتصل برجالي وبعض..

أفاق الجندي من أحلام الثروة والجاه على صوت القبطان وهو يقول:

– استرح يا جندي، سأتسلم اللواء من هنا.

كان اللواء قد وصل إلى العتبة الأخيرة، في السلم المفضي إلى السطح. وما إن فتح القبطان الباب، ودخل ضوء النهار، حتى أصيب اللواء بعمى مؤقت، وغطي عينيه بيده، إلى أن تعود على الضوء. أمسك اللواء بسور اليخت، حتى يحفظ توازنه. ونظر إلى الأفق، فلم يجد غير زرقة البحر الهادئ جدا. ونظر إلى المياه على جانبي اليخت، فرأي انعكاس صورته، ومن فوقها السحاب، مشكلة لوحة بديعة. أخذ اللواء نفسا عميقا– وشعر بجمال الطقس، فتحسن مزاجه نسبيا.

نظر اللواء إلى القبطان الشاب، الذي كان يدخن ويتأمل الأزرق والسحاب، وقال له:

– يا بني، سأكون واضحا معك، وأعرض عليك عرضا لا يمكنك رفضه. ستساعدني على الخروج من هذه المحنة، وسأعينك نائبي الأول وقائد الجيش، هذا غير الثروة التي تفوق تخيلك.

سأله اللواء، بعد أن أبدى القبطان الشاب عدم اهتمام..

– ما رأيك؟

قالها اللواء وهو يقترب منه، و يتلفت حوله.. وأكمل:

– إذًا أشعر أن العرض يناسبك، إذًا سنفعل الآتي: أولا ......

قاطعه القبطان الشاب بإشارة من يده، ونظر في عين اللواء المرتاعة..

– ماذا سأفعل بالثروة والقوة؟ ألم تمتلكهما منذ عقود طويلة؟ ماذا فعلت بهما؟ اغتنيت وأفقرت شعبك.. حافظت على صحتك وأمرضت شعبك.. كنت تسيطر على موارد الدولة، ولم يتحسن في عهدك التعليم.. كانت مصاريف قصورك في جميع أرجاء المعمورة فلكية، ومستشفيات الدولة يأنف أن يدخلها الحشرات.. كان المقربون منك يمتلكون كل شيء، بعد أن أطلقت لهم العنان في بيع كل شيء.. المصانع التي أنشأها قائد الثورة طويل القامة، لتكون صمام أمان للشعب، الأراضي، المشاريع العملاقة.. لم يتركوا شيئا. شردوا العمال، نهبوا الأراضي، دمروا الزراعة. كل ما كان يهمك هو حصتك من الأرباح؛ أما الشعب، فلم يكن في حساباتك أبدا. كل ما كان يمليه عليك الغرب كنت تنفذه بالحرف، وفي بعض الأحيان كنت تنفذ أكثر مما يطلبون. بعت أخواننا لأولاد عمك، افترسوهم، حرقوا أرضهم وأطفالهم، لم تتحرك حتى لتفتح حدودك، لينجوا من الحرق. وأي فرد من الشعب كان ينصرهم، كنت تلقيه في السجن . عليك اللعنة يا خائن يا عميل.

وتعالت صيحات القبطان الشاب، حتى تجمع الضباط والجنود، وصرخ القبطان الشاب في وجه اللواء، حتى كاد اللواء أن يطير في البحر من شدة الصراخ..

- لو كان الأمر بيدي، لألقيتك الآن من المركب أيها التعس. فليعد إلى زنزانته، ولا يخرج منها حتى نصل وجهتنا.

ونظر إلى الجندي المكلف بالحراسة، وأمره بالتنفيذ.

دخل اللواء القمرة الزنزانة، وقدمه تحمله بالكاد، وقلبه يدق بعنف. وشعر بالعرق يملأ وجه وكفيه، وزاد من توتره صوت باب القمرة الزنزانة وهو يغلق بعنف، وأدرك أن وقته قد انتهى بلا شك. تقدم متثاقلا نحو الفراش ذي الرائحة الكريهة، وجلس وهو يمسح عرقه الكثيف، ويحاول أن يفك أزرار بدلته. لمح مظروفا أبيض ضخما ملفوفا بشريط أحمر بجواره على الفراش. يا للهول! ما أتى بهذا المظروف هنا الآن؟ كيف هذا؟!. كان مظروفا يعرفه جيدا.. مظروفا ساهم في صعوده درجات القوة والمجد والثروة، وسرع من وصوله سدة الحكم.

نظر إلى جانبه، فرأى الشمس في طريقها إلى الغوص في البحر، وشعر بوعورة الطريق على سيارته، عندما انحرف عن الطريق عند علامة مميزة، وأكمل في اتجاه البحر والشمس الغاربة لمدة لا تزيد عن ١٠ دقائق، ووجده ينتظره في المكان المحدد للقائهم، شاب في الثلاثينات، بوجه دائري، وشعر بني مصفف إلى الخلف، وأنف صغير، وعيون طفولية.

صاح الشاب مهللا، رافعا يده إلى أعلى بظرف أبيض ملفوف بشريط أحمر، عندما نزل اللواء من سيارته، التي قادها بنفسه في هذا اليوم. وعانق الشاب عناقا طويلا وحميما، وسأله اللواء:

- كيف غامرت وخرجت من الأرض المحتلة، فأنت من أهم عملائنا المزروعين داخل أرض العدو، والمعلومات التي ترسلها إلينا خطيرة ومؤثرة.. هذا خطر على العملية بالكامل يا فتى .

- لا تقلق يا لواء..

أجابه الفتى بحماس شديد..

- لقد وصلت إلى البلاد عن طريق الغرب، وتحججت أبي في رحله عمل. كان يجب أن أسلم لك هذا المظروف بنفسي، لأن الأمر لا يحتمل التأخير يا لواء.. بلادنا مهددة بهجوم شامل وكبير في غضون أيام قليلة. هذا ما تأكدت منه عن طريق مصدري الرفيع في جيش العدو، وحصلت على الأدلة من خرائط، وتفاصيل الهجوم الجوي البحري، ثم الاجتياح البري لجزء عزيز من دولتنا، زائد هضاب ومقدسات من دول شقيقة، مع أدلة لا تقبل الشك عن دعم الغرب الكامل لهذا الاعتداء.

وأشعل اللواء سيجارة، وناولها للعميل النشيط، الذي أكمل وهو يلهث من فرط الإثارة والوطنية..

- يجب أن يصل هذا المظروف إلى قائد الثورة طويل القامة في أقصى سرعة، وأتمنى أن أحضر معك، حتى يتسنى لي رؤيته وتحيته، ويكون لي شرف مقابلته.

مد اللواء يده، وتناول المظروف، واكتفي بابتسامة واسعة، ونظر إلى الشمس التي غربت تقريبا، وعاجل العميل النشيط برصاصة في رأسه، من مسدس كان يخفيه في طيات ملابسه .

سقط العميل على الأرض في أقل من ثانية، ووجهه المليء بالدماء يحمل علامة الدهشة.

ثم ذهب إلى صندوق سيارته، وأخرج صفيحة بنزين، وسكبها على جثة العميل النشيط، وألقى المظروف الأبيض ذا الشريط الأحمر على صدره، ثم أشعل سيجاره، وألقى بعود الثقاب المشتعل على الجثة، التي اشتعلت على الفور، مع فرصة دولته الحقيقية في تجنب هزيمة مذلة.

بدأ اللواء في الضحك، ثم تعالت ضحكته، ومشى في اتجاه البحر، وتعالت ضحكته الشريرة بشكل مزعج، ورائحة جثة العميل والمظروف المشتعلة تملأ أنفه. وأحس بتصاعد الطاقة داخله، حتى أسقط السيجارة والمسدس، ونزل على ركبه مع تصاعد الطاقة الجبارة داخله، ورفع يده إلى أعلى، وأطلق صيحة كفيلة بقتل السمك في البحر.

في هذه الأثناء، كانت أجهزة الدولة ووزارة الحرب وجيوش الدول الشقيقة تغط في سبات عميق، مع تصاعد النبرة الواثقة من هزيمة الأعداء بأقل مجهود. وأصدر اللواء أوامره إلى رجاله، القائمين على أبواق الأعلام المسموعة والمرئية والمقروءة أن يهونوا من شأن قوة العدو. وقبل الهجوم المزمع بيومين، تحجج اللواء بسفره إلى القارة السمراء، لمدة عشرة أيام، لدعم حركات التحرر هناك. ولم يلق أي

اعتراض يذكر من قائد الثورة طويل القامة، الذي كان يملؤه التفاؤل، ويعتقد أن العدو لن يجروء على مهاجمته أبدا

وفي الوقت المحدد، الذي أبلغه به العميل النشيط، فتحت أبواب الجحيم، وكانت هزيمة ساحقة لدولته ودول شقيقة، وتم تدمير أجزاء كبيرة من آلتهم الحربية، واحتلال أجزاء كبيرة من أراضيهم ومقدساتهم، ناهيك عن سحق الكرامة والروح، الذي عانوا منه.

عاد اللواء إلى دولته، بعد أسبوعين من سفره، لتعذر الطيران في المنطقة قبل وقف إطلاق النار، بعد تدخل النادي الأممي، ومن فوره ذهب إلى مقر القيادة، ودخل على قائد الثورة طويل القامة في مكتبه، فوجده جالسا على مقعد في ركن، يدخن بشراهة، والمكتب شبه مظلم.

جلس بجواره دون أن يتكلم، ووضع كفه على ركبة قائد الثورة في أخوية واضحة، وأخذ في البكاء بحرقة. فنزلت دمعة من عين قائد الثورة، ونظر إلى اللواء، وهمس:

– كنت أنتظرك بفارغ الصبر. إن الثورة والدولة في حاجه إليك يا لواء.. لقد دمرت أسلحتنا، وأرواح آلاف من خيرة جنودنا زهقت في ساعات.

ووقف قائد الثورة فجأة، وقال بصوت أعلى، كأنه في إحدى خطبه، التي كانت تهز العالم..

– يجب أن نستعيد كرامتنا.. يجب أن نعيد بناء الجيش.. يجب .

لم يكن اللواء يسمع، إنما كان ينظر إلى قائد الثورة، الذي فقد طول قامته، وأصبح ظهره محنيا، وعينه فقدت بريقها المعتاد، ومشى متثاقلا، حتى جلس خلف مكتبه. وأنصت اللواء من جديد للتعليمات الجديدة..

– لا يوجد وقت لدينا يا لواء.. أريدك أن ترتب البيت من الداخل. سوف أعينك نائبي الأول. لم أعد أثق في أحد. سوف تفتح تحقيقا، وتقدم المسئولين عن هذه الكارثة إلى محاكمة عاجلة، مهما كانت مناصبهم أو قربهم مني أو دورهم في الثورة.

وأكمل قائد الثورة، بعد أن استراح دقيقة ليستجمع قوته..

– نفذ يا لواء.

خرج اللواء من المكتب، وهو يشكر السيد في سره، لأنه أحس أن الأمور تسير في صالحه بسرعة وثبات.

كان اللواء يعرف جيدا ماذا سيفعل، ولم يضيع وقتا. في أقل من ساعة كان قد اعتقل أكبر قيادات الجيش وأكفأهم أيضا، وعلى رأسهم نائب قائد الثورة الخبيث وجه الذئب ، وزج بهم في غياهب السجون. واستغل انكسار قائد الثورة ومرضه، وأقنعه أن النائب وقاده الجيش هم السبب في الهزيمة المذلة، وصدق على حكم إعدامهم جميعا، وكانت فرصة للواء للتخلص من أكفاء ضباط الجيش، وأكثرهم وطنية في ضربة واحدة.

استغل اللواء انكسار واكتئاب قائد الثورة، وأصبحت أجهزة الدولة كلها –بدون استثناء– تحت سيطرة اللواء، وولى على رأسها

رجاله وأعوانه، المعروف عنهم الفساد والغباء وضعف الإمكانيات، عملا بنصيحة ماريو، الذي نصحه أيضا بالتخلص من كل من ينبغ في أي مجال، ويستحسن لو شجع العقول النابهة على الهجرة للغرب. وأصبح اللواء يحكم من خلف الستار، وأوعز إلى قائد الثورة أن يصدق على قانون الحكم الطارئ، الذي ساعده في اعتقال أهل الرأي ومثقفي الدولة، الذين يعارضون سياسته أو ينقدون أداء الحكومة التي يرأسها اللواء، وكبار رجال الدولة، حتى لو كان نقدا بناءً. وامتلأت المعتقلات بخيرة رجال ونساء الدولة، من أدباء وفنانين وصحفيين وطلبة.. وأذاقهم من العذاب ألوانا وأصنافًا، وكان يشرف بنفسه على عملية التعذيب، وابتكر طريقة جديدة، أعجبت ماريو جدا، وهي أن يأتي بأم أو أخت أو زوجة المعتقل، ويهدده أنه سوف يغتصبها أمامه، وقد فعلها أكثر من مرة، ليجبرهم على توقيع وتسجيل اعترافات بالعمالة للغرب، وتلقيهم تمويلا وتدريبا لقلب نظام الحكم، وكان يعرض النتائج على قائد الثورة، الذي اشتد مرضه وانعزاله مع مرور الأيام، دون تحرير الأراضي المحتلة.

في شهور قليلة، تحولت دولة اللواء إلى دولة بوليسية من المقام الأول، حتى كان نصف الشعب يكتب تقاريرًا عن النصف الآخر، وسمع الناس عن الزوج الذي يكتب تقارير عن زوجته، أو الابن الذي يكتب تقاريرًا عن أبيه.

مما جعل اللواء يعرف كل شاردة وواردة في الدولة، فأصبح له عيون ومخبرين في كل مكان: الجامعة، مؤسسات الدولة، المصانع، الجيش، منزل قائد الثورة.. مما سهل عليه أن يسيطر على الجميع، فلديه تسجيلات وأفلام تخص كل من يريد أن يجنده لصالحه،

لذا أصبح اللواء ورجاله المقربون دولة داخل الدولة.

شعر اللواء بجفاف في حلقه، فنادى من فوره..

– يا علوان.. يا علوان!

فلم يجد علوان واقفا عند طرف الفراش كالعادة.. وعادت إلى أنفه رائحة الفراش الكريهة، فأدرك أنه ليس في جناحه في قصر الحكم، إنما في القمرة الزنزانة، فشعر بمرارة في حلقه، وتوجع كل جسمه في آن واحد.

علوان كان مدربا على تلبية طلبات اللواء في أي وقت وأي مكان، وتذكر اللواء كم كان موهوبا بالفطرة.. كان يلبي طلبات اللواء، حتى قبل أن يطلبها. وتجلت براعته في احتوائه لمزاج اللواء، فكان يعرف ما يساعد على اعتدال مزاج اللواء وتوقيته، من أكل أو خمور أو بنات عذراوات. علوان لم يأخذ وقتا طويلا للتأقلم على أهواء اللواء، منذ أن قدم من نفس قرية اللواء، فأصبح خبيرا في عادات اللواء. وكان يحسن إدارة قصر نائب قائد الثورة، اللواء المتحكم في الدولة، فكان اللواء لا يشغل باله بلوازم السهرات من أكل وشرب وبنات وحتى فرق موسيقية وراقصات.. وبالتالي أصبح علوان، في سنوات قليلة، من أهم رجال الدولة.. أصبح الرجل الذي يلازم اللواء كظله على مدار الساعة

أخذ اللواء في النداء على علوان بصوت عالٍ..

– أين أنت يا علوان؟ لو كانوا خيروك بمرافقتي أو إطلاق سراحك، أثق أنك كنت ستختار مرافقتي إلى مصيري المجهول.

– اصمت يا نجس.

سمع اللواء صوت الحارس خارج القمرة الزنزانة، فلم يصمت، إنما زاد في الحديث بصوت أعلى..

– اصمت أنت يا جندي يا تعس.. أنت لا تعلم ماذا ينتظر الدولة بدوني.. سوف تندمون.. سوف تشحتون يا أغبياء. أنا النظام، أنا الأمن، أنا الرفاهية. هذا كابوس.. كابوس، وسوف أصحو منه عاجلا أو أجلا.. أنا الجيش، أنا المصانع، أنا الكباري، أنا الإنفاق، محطات الطاقة.. أنا زوج كل امرأة في البلاد.. أنا أبوك وأبو كل شباب الدولة. أنا أنا أنا أنا...........

وصمت اللواء برهة حتى ظن الجندي أنه مات، أو دخل في غيبوبة؛ لكنه فوجئ باللواء يكمل:

– أنا الأموال في مصارف العالم.. أنا صديق الزعماء.. أنا حكيم المنطقة.. أنا المدارس والجامعات. باسمي أنا الذي يتغنى الشعراء والمطربين باسمه.. أنا الذي تملأ صوره وتماثيله العملاقة الشوارع والميادين.. أنا أنا أنا أنا.....

دوى صوت عاصفة من التصفيق.. انخفضت الإضاءة في القمرة الزنزانة، وحاول اللواء أن ينظر حوله، فلم يستطع تبين أي شيء إلا كشافات تبعث أضواء، تشبه الأضواء المسلطة على ممثلين المسرح. أغلق عينه، وزاد صوت التصفيق الحار في أذنه أكثر وأكثر.

فتح عينه بصعوبة، وضجيج التصفيق يصمه، والضوء المسلط على عينه يعميه، فوجد نفسه يخطب في نادي الأمم، أمام جمع غفير من

شتى بقاع الأرض، ممثلين عن دولهم. نادي الأمم، الذي يقع في مبنى شاهق في عاصمة الغرب الجديدة، التي انتقلت عبر المحيط إلى الدولة الجديدة، التي انتزعت زعامة الغرب من الدولة القديمة، التي يقطع عاصمتها نهر.

حين انتهى اللواء من خطبته العصماء ،كنائب لرئيس دولته، وقف الجميع، وضجت القاعة بالتصفيق . وكانت فعلا خطبة عصماء عن الكفاح والمقاومة والحب والتسامح والتعايش السلمي واحترام الديانات. خطبة جهنمية مليئة بالاحتمالات والمقارنات، تبعث على الحيرة. إنما أداؤه التمثيلي الرائع هو الذي ألهب حماس الحضور، وجعلهم يصفقون بحرارة .

بعد الخطبة، لم يهتم بجمع أعضاء الوفد كعادته، لإعطائهم تعليمات الأمن الصارمة، إنما نفحهم نقودًا، وأطلق لهم العنان، لأنهم ببساطة كلهم من رجاله وحاشيته .

أراد اللواء لرجاله أن يمتعوا أنفسهم في هذه المدينة الجميلة، المطلة على المحيط، المليئة بناطحات السحاب والملاهي والأسواق، ناهيك عن الشوارع الفسيحة، التي تسير بها سيارات حديثة، نساؤها يرتدون آخر صيحة من الموضة، ويخطفن الأبصار والعقل . مدينه صممها السيد بنفسه.

هذه المعلومة سمعها من ماريو، عندما قابله حسب موعدهم على العشاء، في أحد أفخم مطاعم المدينة.

جاء النادل بزجاجة نبيذ، وصب كأسين. ولم تمض دقائق، حتى وصل بنعامي، فقام اللواء واحتضنه بمودة صادقة، قائلا:

– بنعامي العزيز، كم افتقدتك!.. كيف حالك يا رجل؟

– بخير يا لواء.. لقد استمتعت بخطبتك اليوم.. كانت تاريخية بمعنى الكلمة. ناهيك عن تعبيرات جسمك ووجهك، ولغة الغرب تنطقها مثل أهلها الآن يا لواء.

ضحك اللواء، وقال:

– لن تصدق يا بنعامي أني في شبابي كنت أريد أن أصبح ممثلا.

فقهقه ماريو، ودعاهم للجلوس، وتبادلوا الأنخاب وهم يضحكون. وأضاف اللواء:

– ألا تصدق يا ماريو حتى أني أمتلك مكتبة من أفلام الغرب، القديم منها والحديث..

عندها ظهر معلول الثاني سائلا:

– لماذا لا تشركوني في هذا الضحك؟ أم تراني تأخرت قليلا، بسبب أن أجمل امرأة في العاصمة أخذت ساعتين من أجل أن تتبرج؟

التفت اللواء، عندما أفسح معلول الثاني المجال للروية، وظهرت خلفه فتاة في العقد الثاني من عمرها، بشعر ذهبي ووجه يحمل ابتسامة واسعة، ترتدي فستانا أحمر، يظهر ثديها البارز، وجسمها الرائع. وأكثر ما لفت نظر اللواء عينها الخضراء اللامعة.

سلمت الفتاة على ماريو، وقبلته قبلة طويلة على شفته، ثم احتضنت بنعامي، كمن تعرفه من سنين، ومدت يدها لتصافح اللواء، الذي أدرك أنها الممثلة الناشئة في الغرب، التي يعرض لها فيلم الآن في الصالات، وكانت تظهر فيه بملابس البحر، ومعظم مشاهدها بملابس خفيفة، تظهر أكثر ما تخفي، ومشهده المفضل هو النهاية.. مشهد ساخن مع البطل، الممثل القديم والشهير، الذي نجح في إنقاذها من أسر الشيخ الشرقي الشرير، الذي أجبرها على الزواج به، ليضمها إلى حريمه. ونجح البطل القديم الشهير في القضاء على الشيخ وأعوانه، وتدمير قصره تدميرا كاملا.

طلب ماريو زجاجة نبيذ ثانية، وبدأ معلول الثاني الحديث بأنه انتهى من دراسته في الغرب، وحان موعد عودته إلى دولته. لكنه تحدث مع والده على الهاتف اليوم، ودار بينهما جدل ونقاش حول قائد الثورة في دولة اللواء، حيث قرر معلول الأول أن يسافر مع قائد الثورة إلى الكتلة الشرقية، ودعمه ماديا لشراء أسلحة ومعدات حديثة، وسيزيد الضغط بسلاح الموارد الطبيعية، التي تمتلىء بها إمارته، على الحزب الحاكم هناك، لأخذ أجيال جديدة من السلاح، لخوض معركة استعادة الأراضي المسلوبة من الأمة، مما أثار حفيظة معلول الثاني. وهنا أوقفه ماريو بنظرة غاضبة، اختفت معها ابتسامته المريحة، وزعق في وجه معلول الثاني.

– لن تتعلم أبدا يا مراهق يا طفل أخوت..

وأخذ يوبخه بعنف..

– لن تتعلم أبدا.. كان يجب أن تشجعه وتوافقه، وتدعو له بالتوفيق، حتى لا يتسرب له الشك، وخصوصا معلول الأول رفض كل محاولتنا للتقرب منه. إنك لست ألا مخلوق صحراوي غبي، أود أن أقوم الآن وأصفعك على مؤخرتك.

تظاهر جميع من على المائدة بالانشغال.. الفاتنة ذات العيون الخضراء بالشرب وأكل المشهيات، وبنعامي في حديث جانبي مع اللواء. وسرعان ما عادت لماريو ابتسامته المريحة، مع مجيء النادل لأخذ رغباتهم في العشاء، فأقترح ماريو طبق لحم الخنزير المشوي، مع النبيذ الأبيض، فوافقه الجميع.

انتهى جميعهم من العشاء، واستأذن معلول الثاني وبنعامي في الانصراف، وبقي ماريو والفاتنة ذات العيون الخضراء، التي قفزت وجلست ملاصقه لماريو، مما أثار اللواء جدا، وشعر بالطاقة تملأه.

فرغوا من التحلية، فمد ماريو يده في جيب سترته، وأخرج علبة ذهبية، بها سيجار لاتيني ذو رائحة نفاذة وجميلة، وناول اللواء واحدة، والفتاة، ثم أشعل لهما، ثم أشعل لنفسه، وهو يأمر النادل بإحضار زجاجة كونياك.

أخذ اللواء ينفث من دخان السيجار اللاتيني، ويعب من الكونياك، وينظر لنهدي الفاتنة بشبق واضح، حتى حدجته بنظرة مرحة، فنظر إلى السقف ليهرب من عينيها الخضراء المثيرة، فوجد السقف يشبه هرما صغيرا، وعلى قاعدته وجد النقوش، التي أصبح معتادًا عليها، ويعرف دلالة معظمها، فزادته النقوش طاقة وقوة،

وشعر بإثارة شديدة، عندما شخص ثانية في نهد الفاتنة الرائع، وتمنى لو يقفز عبر المائدة، ويخرج نهدها ويلعقه حتى الصباح.

أخرج ماريو دخانا كثيفا من فمه، الذي كان يشبه مدخنة قطار قديم، وضحك ضحكة خبيثة، وهو يقول للواء..

– أنت ذئب فعلا يا عزيزي.. ذئب وزير نساء.

ثم هم ماريو بالوقوف، واتجه ناحية باب المطعم، وتبعه اللواء والفاتنة. وقبل أن يتسلموا معاطفهم، استأذنت الفتاة للذهاب إلى الحمام، ثم نظر ماريو في عين اللواء، واقترب منه، حتى كاد أن يحتضنه، وأمسك بقبضته بكلتي يدي اللواء، و قال له إن وقت التخلص من قائد الثورة قد حان.

– يا لواء، سوف تجد في حقيبة الأوراق في الفندق قطارة، بها سم مفعوله أكيد، لا يمكن اكتشافه بالتشريح، وأعراضه تشبه أعراض ارتفاع ضغط الدم. يجب أن تدسه لقائد الثورة في أقرب فرصة.. آن الأوان أن تتسلم مقاليد الحكم.

واقترب وجه ماريو من وجه اللواء، حتى التصق به، ولم يشعر اللواء أن قدمه تطأ الأرض، التي تتكون من لونين الأبيض والأسود، مثل رقعة الشطرنج، إنما راوده شعور أنه ارتفع عن الأرض مع كلام ماريو..

– أنت الآن يا لواء أعظم وأقوى حكام عصرك.. يا حامل نفس السيد.. يا مهاب من شعبك.. يا متحكم في مصائر العباد،

بإشارة منك تمنح الحياة وتسلبها، تجعل الرجل عبدًا أو أميرًا.. كل النساء تحت قدمك.. الخزائن لن تسع ثروتك.. البلاد تغني في محبتك.. يا لواء يا..

ما زال اللواء وجهه ملتصق بوجه ماريو، يدور في السماء، والنجوم تلمع حولهم.

فجأة، انفصل وجه ماريو، وشعر اللواء أن رقعه الشطرنج تدور تحت قدمه العاجزة عن حمله، إلى أن مد له ماريو يده، وساعده على الوقوف.

ذهب اللواء إلى دورة المياه، وحين عودته، لم يجد ماريو، إنما وجد الفاتنة، وقد ارتدت معطفا ذهبيا لامعا على فستانها الأحمر، الذي يبرز نهديها، وحذاء برقبة طويلة، أبيض اللون، تبتسم له ابتسامة مشجعة

خرجوا من المطعم، ولم يشعر اللواء ببرد، على الرغم من انخفاض الحرارة في هذا الوقت من السنة في عاصمة الغرب الجديدة.. على العكس، كانت الطاقة تملأ روحه وجسمه، مع شعور طاغٍ بالإثارة والهياج الجنسي.

فجأة، توقفت سيارة ليموزين سوداء، ودلفت الفاتنة ذات العيون الخضراء المثيرة داخلها، فتبعها اللواء، ووجد السيارة واسعة من الدخل، بها أريكتين لونهما أحمر مثل الدم، ولم يستطع تبين من في مقعد السائق، نظرا لوجود زجاج أسود يعزله عن الصالون الفاخر. داخل السيارة، بين الأريكتين، يوجد بار صغير، بدأت الفاتنة في استعماله،

وصبت كأسين من الويسكي الموضوع في زجاجة من الكريستال الفخم، وناولت اللواء كأسا قائلة:

– في صحه أعظم وأقوى رجل في الكون.

ابتسم اللواء، وهو يكاد ينفجر من الطاقة والإثارة.. جرعت الفاتنة كأسها في رشفة واحدة، واقتربت من اللواء، ثم حركت رقبتها حركة سريعة، مما حول شعرها الذهبي كله خلف رأسها، ومدت يدها بخفة وخبرة، وأنزلت سحابة بنطاله، وأمسكت بعضوه المنتفخ، وأخذت تلعقه بفن . ابتسم اللواء، وأراح رأسه إلى الخلف، ورشف من الويسكي رشفة صغيرة، في حاله استمتاع شديد.

فرغت الفتاة من إمتاع اللواء، وأخرجت من حقيبتها مرآة صغيرة، وعدلت من زينتها، ثم صبت كأسا لها، فأشعل اللواء لفافتين تبغ، وناولها واحدة، وأخذ يدخن في استمتاع، وهو ينظر إلى عينها الخضراء المثيرة، التي لم يشبع منهم بعد.

إلى أن توقفت السيارة في شارع واسع مزدحم، في أرقى أحياء عاصمة الغرب الجديدة .

نزل اللواء خلف الفاتنة، فوجد البنايات الشاهقة الحديثة كلها مضاءة، إلا البناية التي أمامهم، قديمة وغير مضاءة. توجهت الفاتنة، واللواء وراءها نحو الباب، الذي فتح دون أن تلمسه، ثم صعدا في مصعد خشبي عتيق الطراز، به نوافذ من كل جانب، وبه زر واحد يحمل رقم ٦

توقف المصعد، فخرجا على بهو مليء بتماثيل قديمة لمحاربين وحيوانات أسطورية، ولا يوجد باب. فاندهش اللواء لثوانٍ، ولم يدر ماذا يفعل هنا. ونظر إلى الفاتنة، التي لم تتوقف للحظة عن الابتسام المشجع والمثير، إلى أن فتحت بوابة في الحائط، تؤدي إلى قاعة كبيرة بسقف عالٍ، على شكل هرم أبيض، واللون الأبيض هو الغالب على كل شيء في القاعة.. ملابس الحضور الكثيرين، البار الكبير، اللوحات، الكراسي. هرول نحوهم رجل يرتدي بدلة بيضاء ورابطة عنق بيضاء، وحتى الحذاء أبيض مثل شعره الأبيض كالثلج. صاح الراجل الأبيض:

– أهلا بنجمة المستقبل الفاتنة.

ولثم الفاتنة بقبلة حميمة على شفتها.

كان اللواء غير مصدق أن مضيفه هو الممثل الغربي الوسيم، معبود النساء في العالم، الممثل القديم والشهير، الذي ظهرت معه الفاتنة في فيلمه الأخير .

أفاق اللواء والممثل يشد على يده ويحييه..

– مرحبا يا لواء يا عظيم.. سمعت الكثير عنك، كنت أتوق إلى مقابلتك منذ زمن.

أجابه اللواء بفرح طفولي:

– إنه لشرف عظيم أن أقابلك.. لقد شاهدت كل افلامك أكثر من مرة.. أنا من كبار معجبيك، وخصوصا أفلامك التاريخية. أعشق الطريقة التي تبارز بها بالسيوف، وتقهر أعدائك.

احتضن الممثل القديم الشهير اللواء، وشكره وهو يملس بيده على وجنة اللواء بغنج، وطبع قبلة سريعة على فمه، مما أجبر اللواء على التراجع خطوة إلى الخلف، وتوقف عن الكلام لبرهة، ونظر للفاتنة، فوجد على وجهها نفس الابتسامه المشجعة.

دعاهم الممثل إلى الدخول والاختلاط بالمدعوين. سرعان ما انفصلت الفاتنة عن اللواء، ولم يعبأ كثيرا، فالمكان مليء بالنساء الحسناوات، من مطربات وعارضات أزياء، من كل شكل ولون، والطاقة تزيد داخله مع دقات الطبول، التي تشعره بإثارة وقوة.

تقدم اللواء إلى البار الأبيض في منتصف القاعة، وطلب كأسا من الويسكي، من السمراء التي تقف خلف البار، بشعر منكوش وبلوزة شفافة، تظهر نهديها الكبيرين المستديرين

تعالت الموسيقي الصاخبة، خاصة صوت الطبول، ومن باب جانبي في القاعة ظهرت المطربة التي قابلها يوم القسم العظيم وضاجعها، ممسكة بيدها ميكرفون، وتغني. واقتربت من اللواء الجالس على البار، وغمزت له، وقبلته على فمه قبلة سريعة. حاول أن يمسك يدها، فضحكت، وتخلصت من يده ببراعة، وأعطته ظهرها، ليمعن النظر في فستانها الأبيض الشفاف، الذي ترتديه بدون ملابس داخلية. وأكملت الغناء الماجن، الذي أثار اللواء، خاصة بعد أن تجمع حولها شباب مفتولي العضلات، يرتدون مناشفا فقط، ويقبلون بعضهم البعض، ويتلامسون، والحضور في حالة نشوة وطرب.

نظر إلى جانبه، فوجد الفاتنة ذات العيون الخضراء منشغلة في تقبيل فتاة البار السمراء، ويداها لا تفارقان نهدها المستدير. نظر إلى الجانب الآخر، وجد الممثل القديم الشهير يجلس على مقعد عالٍ، وخلفه شاب من مفتولي العضلات، يحتضنه بحميمية، ويقبل عنقه، والممثل يبتسم للواء، ويدعوه للاقتراب منه.

أخذت الموسيقى تعلو، والمطربة تغني أغانيها الماجنة بصوت أقوى، وكمية الخمر التي شربها اللواء اليوم وتملؤه النشوة والطاقة التي داخله، بعد أن عرف من ماريو أن الوقت حان لتحكمه في البلاد والعباد.. كل هذه العوامل جعلته يتقدم نحو الممثل القديم والشهير، ويلبي دعوته.

عادت الأمواج الشديدة لتلعب بجبار البحار، فأحس اللواء بأن القمرة الزنزانة انقلبت رأسا على عقب، وحاول أن يتمسك بالفراش ذي الرائحة الكريهة بكل قوته، لكن اهتزازات اليخت كانت أعنف من أي مرة سابقة. لم يتمكن اللواء من الثبات على الفراش، نظرا للأوجاع التي تملأ جسمه، فسقط من على الفراش مثل الجوال، فتدحرج جسده السمين إلى الناحية الأخرى من القمرة الزنزانة، ووجهه إلى الأرض، حتى وصل إلى الخرم الذي يقضي فيه حاجته في الأرض، فأثارت الرائحة النتنة معدته الفارغة، فأخذ يتقيأ سوائل صفراء من معدته، وجثا على ركبته، في محاولة يائسة للوقوف، لكنه فشل. فانزوى في الركن، مسندا رأسه إلى الحائط، وأخذ يبكي في حرقة، ويقول:

– أريد الخلاص.. أنا لست نادم على شيء، لكن أريد الموت حالا في التو. أعطوني سكينا أو آلة حادة، وأريحكم مني.

كانت الدموع تملأ عينه، والصداع يشق رأسه، وقدمه كأن بها أشواكا تخترقها، لكنه ميز هذا الرجل، الذي يقف فوق الفراش ذي الرائحة الكريهة، ويقفز عاليا قفزات طفولية، ويصيح بفرح ويصفق بيديه. مما حدا باللواء أن يضم ركبتيه، ويضع رأسه بينهم، حتى لا يرى هذا المشهد، فرأى، وهو مغمض العينين، عندما ذهب إلى سجن الجيش الشديد الحراسة يوما واحدا، قبل تنفيذ حكم الإعدام في نائب قائد الثورة ورفاقه. حكم الإعدام الذي أصدرته محكمة يرأسها اللواء، واتهمهم بالتسبب في الهزيمة المذلة، والتآمر على الثورة والشعب.

في هذا اليوم بالذات، ذهب اللواء ليتشفى في غريمه، والعقبة الوحيدة التي كانت بينه وبين الحكم، نائب قائد الثورة، وجه الذئب الذي كان دائما ما يحتقر اللواء، وينظر له نظرة كلها شك وريبة.

كان نائب قائد الثورة قابعا في زنزانة مظلمة ورطبة لا تدخلها الشمس. يجلس وظهره إلى الحائط، واضعا رأسه بين ركبتيه، في نفس الوضع الذي يجلس به اللواء الآن.

انتصب نائب قائد الثورة واقفا، عندما شاهد اللواء يدخل عليه. ورغم قصر قامته الواضح، كان رأسه مرفوعا، وينظر للواء في عينيه مباشرة بقوة وثبات. كان اللواء يشعر بحقد وكره شديد له، نظرا لقربه من قائد الثورة، وسيطرته على الجيش، وحب الجنود

واحترامهم له. ويجزم اللواء أن النائب إذا كانت أتيحت له الفرصة للإطاحة به لفعلها بدون تردد، لكن حظ اللواء كان أوفر.

– سعيد أنت يا لواء.. لقد أطحت بي، وقضيت على قيادات الدولة العليا جميعا. قادم للتشفي يا لواء؟ هنيئا لك.

قالها النائب بسخريه لاذعة

تمالك اللواء أعصابه، لعلمه أنه يتكلم مع رجل شبه ميت، فلم يرد عليه، وجلس على الفراش ذي الرائحة الكريهة في زنزانة النائب، وناوله لفافة تبغ، وأشعلها له . تناول النائب اللفافة، وسحب نفسا عميقا وقال – وهو ما زال واقفا مشيرا بأصبعه في وجه اللواء–

– أنا أعلم أنك عميل للغرب، ويجزلون لك العطاء لخيانة الثورة وقائدها. واستغللت الهزيمة، التي قد تكون أنت السبب الرئيسي فيها، للوصول للحكم، وقد نجحت. لا أنكر أني أتحمل جزء من المسئولية، لأني لم أستعد كما ينبغي، واعتمدت على أهل الثقة أكثر من أهل الخبرة، لكنني أبدا لم أخن الثورة أو دولتي ،كما صورت محاكمتك الهزلية.. وسوف يجيء اليوم الذي يرد لي التاريخ اعتباري، ويذكرني بالخير. أما أنت، فمكانك مزبلة التاريخ، وعندما يتذكرك الناس، سوف يلعنوك ويلعنون أيامك، يا عميل الغرب يا جبان.

فرغ النائب من الصياح في وجه اللواء غير العابيء، ثم جلس بجانبه

ـــ ونظر إلى الحائط، وأضاف:

- تكون واهما يا لواء إذا تخيلت للحظة أن قائد الثورة سيعدمني أنا ورفاقي. قائد الثورة مثل أخي.. لقد مررنا بالكثير سويا.. حروب، إصابات، دم.. أفراح.. أحزان.. جوع.. شبع. لن يطاوعه قلبه.. قد ينفينا أو يضعنا تحت الإقامة الجبرية.

هنا شعر اللواء بالقلق، وزادت ثقة النائب في نفسه، فمد يده بدون استئذان، وأشعل لفافة جديدة ، وأراح ظهره على الحائط، وأخذ يدخن بلا مبالاة.

لم ينطق اللواء بكلمة منذ دخل الزنزانة المظلمة الرطبة. وقام من على الفراش ذي الرائحة الكريهة، وترك علبة التبغ والقداحة وانصرف.

في الطريق إلى الخارج، استوقفه أمر السجن، وعلى وجهه ابتسامة فرح، ويحمل في يده ورقة موقعه من قائد الثورة، تأمر بإلغاء حكم الإعدام على النائب ورفاقه.

استشاط اللواء غضبا، وتصاعدت الطاقة الشريرة من روحه عبر عينه، وأمسك أمر السجن من عنقه بقوة، ودفعه إلى الحائط، حتى كاد أن يفقد وعيه، وحدجه بنظرة مرعبة من عينيه، التي يتطاير منهم الشرر..

- ترد على هذا الأمر بأن حكم الإعدام نفذ فجر اليوم، وأنك تسلمت الورقة متأخرا، وتنفذ حكم الإعدام حالا.

وأضاف:

- هل حديثي واضح؟

قالها وهو يترك رقبة أمر السجن، الذي كان يتنفس بصعوبة، ورد:

– علم وينفذ أمرك يا لواء.

وذهب للتنفيذ فعلا .

سمع اللواء نقرًا خفيفا على باب القمرة الزنزانة، وانفتح الباب، إذا بجندي الحراسة يقول له:

– هيا يا لواء.. لقد تحسن الجو، والقبطان سمح لك بخمس دقائق للتريض على السطح، فهيا بنا.

تحامل اللواء على نفسه، ولم يعبأ بمحاولة وضع الحذاء في قدمه، التي أصبحت تشبه الكرة من التورم، حتى أنه لم يهتم بإقفال أزرار سترته البيضاء، المليئة ببقع صفراء من آثار التقيؤ، ومضى مستسلما، محني القامة، خلف جندي الحراسة إلى السطح . أول ما خرج إلى السطح، لاحظ أن الشمس اقتربت من المغيب، وشخص ببصره إلى المحيط الأزرق الواسع، وفي الأفق قرص الشمس مطلي بلون برتقالي بديع، يهم بالغوص في الماء. ونظر إلى السماء في الجهة المقابلة، فوجد قمرًا فضيا يسطع ناثرا حبيبات فضية على سطح الماء الهادئ، حتى يخيل لك أن هذا المحيط لم يثر أبدا ولن يفعلها.

كان القبطان يقف يدخن، ويتأمل هذا المشهد البديع، غير عابيء بوجود اللواء بجانب جندي الحراسة الذي لا يفارقه . اقترب اللواء من القبطان، بظهر محني وعين زائغة. وأشار إلى فمه، علامه رغبته في

لفافة تبغ، فاستجاب القبطان، وأشعل له واحدة. فأخذ اللواء نفسا عميقا، ونفثه، وهو ينظر للقمر الساطع، وسأل القبطان دون أن ينظر إليه.

- كيف فعلتوها كيف أطحتم بي بهذه السهولة والتنظيم المحكم؛ برغم الاحتياطات الأمنية المتناهية، وجيش الحراسة والمخبرين، ومنظومات التأمين التي تكلفت أموالا طائلة؟.. رغم رجالي في الجيش والأمن وجميع إدارات الدولة؟ هم من صنعي، وأجزل لهم العطاء، وأغض الطرف عن تجاوزاتهم، حتى أصبح أمني هو أمنهم وضمان استمرارهم؟ كيف نجحتم ووزير أعلامي يصنع المعجزات، لجعل صورتي وسيرتي من مصاف الآلهة؟ كيف تقبلكم الشعب، الذي يعتبرني والده وحاميه وسنده؟ كيف حدث ما حدث يا قبطان؟..

شعر القبطان بالفخر والأمل، غير جلال الموقف هو الآن يقف أمام اللواء المهاب، ينظر في عينه ويواجهه. برغم قسوة اللواء وغشامته المعروفة، اللواء الذي لم ير القبطان الشاب زعيما غيره، اللواء الذي درس شعبه وسيرته وبطولاته منذ نعومة أظافره في المدرسة ثم كلية الحرب، اللواء الذي لا حديث لإعلام الدولة إلا عن حكمته وشجاعته ومواقفه البطولية على مر التاريخ.

- الفتى المنفي هو العقل المدبر.

أجابه القبطانـ وهو ينظر إلى اللواء بطرف عينه، ليرى رده فعله. رجع اللواء برأسه إلى الوراء، ووضع كفه بجوار فمه، وأخذ يعض عليه بتوتر..

أضاف القبطان:

- الفتى المنفي كان يعد لهذا العمل منذ زمان بعيد.

لم يرد اللواء، مما حدا بالقبطان أن يزيد في التفاصيل..

- منذ كنا في المدرسة أطفالا، تم اختيار بعض منا بسرية مطلقة من جميع أقاليم البلاد، في حركة ثورية. وكنا كل خمسة نتجمع في مواعيد معينة، في قرانا أو مدننا، كل أسبوع، نتلقى العلم عن طريق قائد مجموعة من رجال الفتى المنفي.. علمونا كيف بعت روحك لقوى الشر والظلام، وكيف وصلت إلى الحكم بالغدر والخيانة، وجرائمك في حق شعب دولتك وأبناء وطنك، وفسادك وإفسادك على مر السنين. ثم دربونا على حمل السلاح، وكل شيء كان مخططا بدقة، حتى أني، منذ كنت في العاشرة، أعرف أني سوف أدخل كلية البحر، وأجيد علوم البحر والفلك، هذا غير علوم الديانات السماوية والكيمياء والرياضيات، لأن المناهج في منظومتك التعليمية عفنة ومتخلفة، وتخلق أجيالة غير قادره على التفكير السليم أو التحليل، وأحدثت ضررا سوف يأخذ وقتا طويلا لإصلاحه. لم يكن نظامك التعليمي وحده العفن، بل جميع أجهزة الدولة من صحة وتأمين وصناعة مخلخلة عن عمد. أما عن الجيش وأسلحته، فحدث ولا حرج.. كبار القادة يحظون بكل الإمتيازات والعمولات ويتم تسليحنا بأسلحة بالية، لا تصمد أمام ترسانة أولاد عمك المتقدمة، مع إننا نشتري من نفس المصدر الغربي. والطامة الكبرى، أجهزتك الأمنية القمعية، التي تفوقت على أعتى الأجهزه الأمنية في جميع الدول، في

التعذيب والبطش بالمعارضة، حتى أصبح الغرب يرسل المعتقلين إلى سجونك للتنكيل بهم بالوكالة.

ما زال اللواء يعض على كفه بغيظ، حتى جحظت عينه، وبدأ يشعر بدوار، وألم عنيف في مصرانه..

– وهكذا، في اليوم الموعود، تلقينا الإشارة لتنفيذ حلم راودنا منذ الطفولة، وهو الخلاص من حكمك وجبروتك. كل مجموعة كانت تعرف بالتفصيل مهمتها، فخرجت العملية مثل مقطوعة موسيقية بديعة، تعزف لحن الحرية في جميع أقاليم البلاد في نفس التوقيت.. تم القبض على كل رجالك والمتعاونين معك، وتم الزج بهم في السجون، وحل مكانهم في نفس اللحظة رجال من الثوار، لا يبغون إلا التقدم والخير للدولة والأمة.

انتهى القبطان من حديثه، الذي أشعره بالراحة والطاقة الإيجابية. نزل اللواء السلم ببطء، وهو يحمل الكون فوق رأسه، قافلا إلى القمرة الزنزانة، وهو يتمتم..

– الفتى المنفي!.. كيف؟ ..... أين كان كل هذه السنوات؟.. لقد عجزت أجهزتي الأمنية ومخابرات الغرب وماريو نفسه عن معرفة أي معلومة عنه.

فسمع صوت جندي الحراسة يرد عليه، بصوت ممزوج بالفخر والزهو مع بعض الشفقة على هذا الرجل المسن، الذي كان يحكم بالحديد والنار، والآن لا يقوى على الحركة بدون معاناة .

– حتى أولاد عمك لم يستطيعوا اللحاق به، بعد أن أذاقهم هزائما مريرة، ونجح في طردهم من أراضٍ محتلة، بدون حتى أن يجلسوا على مائدة المفاوضات، ناهيك عن الخسائر التي تحيقهم في جميع بقاع الأرض كلها، من تخطيطه وتنفيذ أبنائه وبناته.

دخل اللواء القمرة الزنزانة، وألقى بجثته الضخمة على الفراش ذي الرائحة الكريهة، ودخل الجندي وراءه، بعد أن أراح نفسه بالكلام، ولم يكتف بما قال، وزاد:

– الفتى المنفي لم يكن من عينتك، يتاجر مع الأعداء ويشاركهم الرقص على جثث الشهداء. كم مرة خطبت في شعبك، وأقنعت البسطاء أنهم قوة غاشمة، ومهادنتهم حكمة. كم من أبناء أمتنا سفكت دماءهم، وإعلامك يصور المقاومة على إنها إرهاب. كم أب دفن أطفاله الرضع، بعد أن قصفوا بأسلحة ممنوعه دوليا، ولم تتحرك حتى بإرسال أدوية أو مساعدات؟

إنما الفتى المنفي تصدى لهم بأسلحة تكاد تكون بدائية، ولم يهبهم، على العكس كان معه أقوى سلاح، وهو الإيمان يا لواء.. الإيمان.

بدأ اللواء في الشعور بالدم يصعد في مخه مثل البركان، وأخذ يجز على أسنانه من الغيظ والكبت، ولم يتحمل لاسم الفتى المنفي أن يتردد على مسامعه مرة أخرى. وتحامل على نفسه، واعتدل في جلسته، وهم أن يصيح في جندي الحراسة، ويطرده من القمرة الزنزانة. لكن صوته لم يخرج، وأخذ جسمه في الانتفاض، وزادت دقات قلبه بسرعة، وبدأت عينه تفقد الرؤية تدريجيا.

حاول جاهدا أن يستجمع قوته، لكن دون جدوى. إلى أن نظر بصعوبة إلى جندي الحراسة، الذي ما زال يتكلم بحماس، لكن صوته لا يصل إلى مسامع اللواء، الذي بدأ في رؤية كل شيء بالمقلوب، وهوى جسمه الثقيل على الفراش ذي الرائحة الكريهة .

غاب اللواء عن الوعي، ولم يدر بنفسه؛ لكنه سمع صوت طرقات على الباب.. ثلاث طرقات، واضح أنها من يد قوية واثقة . سمع صوت قائد الثورة، وهو يقول ادخل يا بني تفضل. نظر اللواء، فوجد أمامه على الفراش جهاز تلفاز، موصول بكاميرا مراقبة، مزروعة داخل منزل قائد الثورة .

احتضن قائد الثورة شابا يرتدي قميصا أبيض مفتوح، يبرز عضلات صدره، وقلادة فضية، لم يتبين تفاصيلها. شابا ذا وجه مستدير، به نور غريب.. كان الوجه واضحا، رغم ضعف الإضاءة، التي يجلس فيها قائد الثورة.

ابتسم الفتى ابتسامة كبيرة، أضاءت وجهه أكثر، وقال:

– أبشر يا قائد.. هذه المرة أوجعناهم بحق.. أشك أنهم حتى سوف يعلنون عن العملية، التي فاقت جميع عملياتنا السابقة. أؤكد لك أن هذه العملية تقرب النصر من يدينا.

انتصبت قامة قائد الثورة، المحنية منذ الهزيمة المذلة، وجلس على مقعد، وأشعل لفافة تبغ، واستمع للفتى وهو يحكي عن العملية..

لقد نجحنا منذ ساعات أن نتسلل إلى الأراضي المحتلة، وندمر مستودعات الوقود الرئيسية لقوات العدو، في نفس الوقت هجم الرجال على مطار حربي في عمق الأراضي المحتلة، ودمرؤا طائرات كانت تستعد للهجوم على مصانعنا. والمكافأة الكبري هي تدمير مخزن ذخيرة سري، تحت الأرض على حدودنا.

- فعلا يا ولدي، مثل هذه العمليات ترفع من الروح المعنوية للقوات، وتقربنا من يوم الحسم واسترداد الكرامة المهدرة .

كان قائد الثورة يتكلم، وعلى وجهه ابتسامة وفرح حقيقي، لم يعهده منذ الهزيمة . أمن الفتى على كلام قائد الثورة، وجلس بجانبه، وشبك يديه أمامه، وأطرق إلى الأرض بنظره..

- تكلم يا ولدي.. أشعر أن لديك شيئا في صدرك، تريد البوح به.. تكلم أرجوك.

- لن نستطيع استعادة الكرامة أو هزيمة الأعداء بدون أن نطهر الدولة، ونقضي على السوس، الذي ينخر في مؤسساتها.

قالها الفتي، وهو ينظر في عين قائد الثورة مباشرة..

- أعلم عمن تحكي يا ولدي.

قام الفتى، ومشي في الغرفة بعصبية، وزاد:

- إن اللواء نائبك أصبح دولة داخل الدولة، ويستخدم السلطات الممنوحة له أسوأ استخدام، وعمليات القتل والتعذيب يظن

الجميع أنها أوامرك. اللواء أصبح مثل زعيم العصابة، فرجاله في كل مكان في الدولة، ، يعيثون فسادا .

قام قائد الثورة ورد بهدوء على الفتى..

- يجب أن أعترف أن تعين اللواء نائبا لي كان خطأ فادحا، وكلف الدولة الكثير. لقد كان اختياره في مرحلة، الرؤية فيها منعدمة، والدولة تترف وتنهار، وأنا شخصيا تعرضت لمتاعب صحية ونفسية تفوق احتمال البشر. أنا عندي معلومات أنه مقرب من الغرب، ويعمل على إطالة مرحلة للاسلم ولا حرب لمصلحة الأعداء.

- إذًا دعني أجهز عليه قبل فوات الأوان. كل ما أحتاج هو ضوء أخضر منك، ويصبح ذكرى.

تكلم الفتى، والعروق ظاهرة في رقبته من الحنق والاحتقار للواء.

أشعل قائد الثورة لفافة جديدة، بعد أن نسي الأولى في الطفاية، ووضع يده على كتف الفتى، وقال:

- لقد أصررت أن تعمل أنت ورجالك خارج أي أطار مؤسسي، ولا تتبعون أي جهاز أمني أو حربي، ولا أحد يعرف عنكم شيئا إلا أنا. ولكن لا تنسى يا فتي أن إمكانياتك الذهنية والقتالية الفذة موجهة إلى أعداء الدولة وليس رجالها.

جلس قائد الثورة لإراحة قدمه، التي بدأت في الشكوى من الوقوف، وأضاف:

– سوف أتخلص منه في إطار قانوني. لقد قررت أن أعين ثلاث نواب من خيرة عقول الدولة لمساعدتي، وسوف أحيل اللواء للتحقيق والمحاكمة العسكرية.

ما زال الفتى يحاول إقناع قائد الثورة أن اللواء خائن وعدو الدولة والأمة، التي تعمل جاهدة على محو آثار الهزيمة والثأر لشرفها، والقضاء عليه واجب مثل الجهاد ضد الأعداء . أشار قائد الثورة بيديه، علامة على أنه يود أن يطلع الفتى على أمر مهم ..

– يا ولدي.. أنا مسافر غدا إلى الكتلة الشرقية، مع الشيخ الشجاع معلول، لاتفاق على صفقة أسلحة حديثه، تمكنا من خوض معركه الكرامة والشرف. لا أحد يعلم عن هذه الرحلة إلا أنت. وبالطبع، وجود النائب، الذي يظن أني ذاهب للعلاج والاستشفاء، مهم لتسيير أمور الدولة. وحين أعود، أعدك ألا يقف أحد، مهما كان، أمام قاطرة النصر والعزة.

أضاء وجه الفتى ثانية، ورد:

– حسنا يا قائد.. أتمنى لك التوفيق. وأنا سأجمع الرجال، ونكون على أهبة الاستعداد.

كان اللواء يشاهد تسجيل لقاء بين قائد الثورة والفتى، قدمه له الرجل المسئول عن التصنت على مترل ومكتب قائد الثورة، لا يتذكر اللواء اسمه الآن، إنما وجهه لم ينسه، على الرغم من السنين التي مرت على وفاته، في حادث سير مأساوي. فوجهه يشبه الغراب، وعينه مستديرة، كمن ولد وهو يتجسس على الناس.

أشار اللواء لوجه الغراب أن يقترب منه، وسأله:

- هل أنت واثق من رجلك، الذي يعمل خادما في مطبخ قائد الثورة؟

- نعم يا لواء بالطبع.

رد عليه الرجل، وعيناه المستديرتان تلمعان، وعلى وجهه ابتسامة مؤذية. فقام اللواء، وأخرج من حقيبة الأوراق قطارة السم، التي سلمها له ماريو، وناولها للرجل قائلا:

- يجب أن تدس قطرتين من هذا السم في طعام أو شراب قائد الثورة، قبل أن يسافر.

- تمام يا لواء، سيتم الأمر في الحال. لا تقلق، فنحن رجالك .

هتف الرجل وجه الغراب، وهم بالذهاب، فأوقفه اللواء سائلا:
- من هذا الفتى الذي يظهر في الشريط مع اللواء؟ أتعرفه؟

أجاب نافيا:

- لا يا لواء.. لكن سوف أتوصل إلى اسمه وعنوانه، وأقضي عليه، وأحضر لك رأسه.

أشعل اللواء سيجارً لاتينيا، وأخذ نفسا عميقا، وأخرجه من رئته، حتى امتلأت الغرفة بالدخان، وضحك ضحكة شريرة، وقال:

- رأسه فكرة جيدة .... قد أهديها لصديقي بنعامي في عيده القادم.

توجه اللواء إلى البار، وصب لنفسه ملء كوب من الويسكي، ورشف رشفة، ونظر إلى الشريط الذي يعيد نفسه، وأزعجه المنظر، عندما وجد قامة قائد الثورة قد طالت مرة أخرى. بعد أن سمع من الفتى أخبار الانتصارات، فزعق في الشاشة:

– سوف أقضي عليكم جميعا يا أعداء السيد.. جميعا.

وألقى بالكأس المملوءة على الشاشة، وحطم الاثنين

عندها بدأت الطاقة تزيد دخله، وامتلأ حتى فاض بشعور بالقوة والجبروت.

– الرائحة لا تطاق، لقد فاض بي.

قالها اللواء وهو ممد على الفراش ذي الرائحة الكريهة، مع انبعاث روائح نتنة من الثقب الذي في ركن الغرفة، مع ارتباك معدة اللواء من الجوع والعطش، فهو لا يدري كم مضى عليه في هذا القبر، وهل هو يهذي، أم كل هذه الروئ حقيقية، وأنه يدفع ثمن صفقته مع السيد، الذي بات من الواضح أنها صفقة، خاسرة ونهايتها مأساوية. وأخذ يهذي بصوت مسموع..

– لقد خدعتني يا سيد.. لقد قدمت لي الدنيا على طبق من ذهب، وها أنا ذاهب إلى جحيم أبدي، بسبب إيماني بك وبقوتك.. أنا خاسر.. أنا خاسر!

وأخذ اللواء يهذي بكلام غير مفهوم، والآلام تهاجمه في كل جسمه .

شعر اللواء بقطرات ماء خفيفة تبلل ملابسه من جانب الفراش ذي الرائحة الكريهة. وفجأة، سطعت الشمس داخل القمرة الزنزانة، فوضع نظارته الشمسية، ذات الإطار الذهبي، التي أهداها له معلول الثاني، عندما قابله على رصيف المارينه، التي تقع دخل حدود قصر معلول الثاني، المطل على البحر في أحد بلاد الغرب، واستقلا زورقا سريعا، وأبحر به معلول بسرعة عالية، حتى سالت قطرات الماء الخفيفة من الأجناب على ملابس اللواء، ومعلول يضحك بمجون، واللواء يقف ممسكا بالكرسي، ويحاول أن يبدو هادئا.

صعدا على متن يخت كبير، كان يرسو في عرض البحر، وكان ماريو وبنعامي في انتظارهم، يرتديان ملابس البحارة، ويحملان كأسي شراب ملون، وفي حالة بهجة ومرح، أغلب الظن من الطقس الرائع وزرقة المياه حولهم.

جلسوا جميعا حول مائدة خشبية على سطح اليخت، وحولهم جلست فتاتان، ترتديان ملابس بحر، تظهر أكثر مما تخفي.. واحدة مشغولة بدهن جسمها البرونزي بزيت، وأخرى تنام على بطنها، مستمتعة بالشمس، وبدون الجزء العلوي من البكيني، ومؤخرتها البيضاء تلمع تحت الشمس . شعر اللواء بإثارة، وود لو يقبل مؤخرة الفتاة اللامعة. وأفاق من أحلام التقبيل على صوت ماريو يقول:

– اشرب هذا الكوكتيل يا لواء.. سوف يعجبك.

فنظر اللواء، فوجد فتاة طويلة، تمسك بصينية عليها الكوكتيل، ترتدي حذاء فضيا ذا كعب عالي، وزي أبيض مثل البحارة، لكن شفاف .

– سوف نحتفل يا لواء، بعد أن نفرغ من هذا الاجتماع المهم. لا تقلق، فاليخت مليء بفتيات من كل الأنواع والألوان، فأعرني انتباهك.

قالها ماريو ووجهه يحمل علامة الجد . اعتدل اللواء في جلسته، ورشف من الكوكتيل، الذي أعجبه وأبهجه.

تكلم ماريو، وأنصت الجميع. نحن الآن على أعتاب عصر جديد، بعد أن أصبح اللواء الحاكم الأوحد لدولته، واقترب معلول من التخلص من والده، وخطة السيد تسير في الطريق المرسوم لها بدقه وعناية.

نظر ماريو للواء، وسأله:

– ألم يحدث معك ما وعدك به السيد، عندما قابلك؟ ألم يرعاك ويساعدك، حتى نلت ما تريد، وأصبحت تتحكم في مصير دولتك وشعبك؟.. ألم تجد الجميع في خدمتك ومستعدين لتقديم أرواحهم فداء لك، وبالطبع ثروتك تزيد أضعاف مضاعفة كل يوم؟.. لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد، إنما هي البداية يا لواء يا عظيم. الوضع في منطقتكم يجب أن يتحول إلى الجزء التالي من الخطة . الخطة، التي وضعها السيد لهذا العصر.. التغيير سيشمل العالم أجمع .

كان معلول وبنعامي ينصتون باهتمام لماريو، الذي أضاف:

في خلال سنوات قليلة، سندخل عصر الشركات والمؤسسات العملاقة.. عصر التكنولوجيا. أتكلم هنا عن شركات ومؤسسات

تشبه الدول في إدارتها وميزانيتها، حتى في أعمالها ستكون إشعال الحروب والصراعات إحدى مهماتها.

لم يستوعب اللواء، وأخذ رشفة من الكوكتيل، وسأل ماريو:

– ما هو بالضبط دورنا في الخطة؟

ضحك جميع من على الطاولة إلا ماريو، الذي أصبح وجها يحمل ملامح الجدية، وأجاب:

– يا لواء.. سأشرح لك بلغتك. سوف تزيد رصيدك في البنوك حين تؤدي هذه الشركات عملها، كما يريد السيد. لأن المالك للجزء الأكبر من الشركات هو السيد نفسه، وأنت وباقي أبنائه شركاء فيها. إنها شركات بترول، وأدوية، سلاح، أغذية، شركات إنتاج سينمائي، وخاصة أفلام إباحية، سلاسل مطاعم، مأكولات سريعة غير مغذية، لكن مربحة.

الخطة تعتمد على أن يكون العالم مليئا بالحروب، وخاصة الحروب الأهلية، وهجمات التطهير العرقي، حتى تستطيع الشركات بيع السلاح للجانبين، سواء في الشرق أو القارة السمراء. كما يجب أن تشجع في دولتك على ثقافة الاستهلاك. فالمنطقة يا لواء مليئة بالبشر، الذي يعتبرهم السيد قوة شرائية مهولة. يجب أن تكون سياستك هي القضاء على الرقعة الزراعية الخصبة والشاسعة في دولتك، حتى يستورد الشعب الغذاء من الشركات .. الصناعة مثلا تكون في أضيق الحدود. مثل الصناعات التي تنتج لغرض التصدير، حتى يظن الشعب أنك تهتم بالصناعة الوطنية، وأن الدولة تجني الكثير

من العملة الصعبة، لكن لن يلحظ أحد أن هذه العملات ستعود إلى الشركات، التي أنت شريك فيها من أرباح استيراد سلع استهلاكية غير مفيدة. هل فهمت يا لواء يا عظيم ؟

سأل ماريو اللواء، وهو يرشف من الكوكتيل باستمتاع.

– بالطبع يا ماريو يا صديقي العزيز. فهمت، وانبهرت، وأيقنت أن خطة السيد سوف تملأ خزائني من عمولة السلع والأسلحة وخلافه.

عاد ماريو يحمل الوجه المريح، ونظر للواء وقال:

– السيد سوف يعمم النموذج الغربي، وهو الرفاهية في جميع أنحاء العالم، من أقصاه إلى أدناه، في الشرق، في لاتيني، في القارة السمراء، في الكتلة الشرقية.. في كل بقاع الأرض ستجد الشركات متواجدة.

هنا تكلم بنعامي:

– كل هذا يا لواء يتوقف على السلام. السلام يا لواء.

اندهش اللواء، وأجاب:

– سلام أي سلام يا بنعامي. ماريو يتكلم عن حروب أهلية، وتطهير عرقي، وإشعال القارة السمراء بحرب ضروس، وأنت تتحدث عن سلام؟ أتريدون أن تشوشوا أفكاري أم ماذا؟

ظهر الفرق في أسنان بنعامي، عندما ضحك على انفعال اللواء. وتدخل ماريو في الحديث، وشرح للواء:

– حين يعم السلام بين دولتك ودولة صديقك العزيز بنعامي، سوف يقوم السيد بتصفية جميع من ينادون بالحرب، بالإيقاع بينهم وبين جيرانهم من شيع أخرى، أو بالحرب الأهلية. وهنا تكون أنت في دولتك مستقر ومنفتح على الغرب، وتصدر أسلحة للفريقين، ويكون بينك وبين أبناء عمك علاقات تجارية ودبلوماسية، ويدق السيد على أسوار الكتلة الشرقية بالسلع وأحلام الرفاهية، ليس بالمدافع والصواريخ كما يظن البعض. ومعلول الثاني، بعد أن يتخلص من والده، سيضم في اتحاد أبناء عمومته الأمراء، الذين ينامون على أكبر خزان موارد طبيعية في الكون، وسينهض بإماراته إلى عنان السماء، وتكون قبلة للبنوك والشركات، لأنها ببساطة ستكون قطعة من الغرب، وسيحلم أي شاب طموح أن يعيش ويعمل فيها.

هنا سيحكم السيد قبضته على اقتصاد العالم، من بنوك كبيرة وشركات متعددة الجنسية، تعمل في كل شيء، من الإبرة للصاروخ، حتى الرياضة ومنتجاتها لن تسلم منه.

وقف اللواء، وتكلم بعصبية، ولم يلحظ فتاة الكوكتيل ذات الكعب العالي والقميص الشفاف، التي اقتربت تحمل كئوسا جديدة

– حسنا.. كل هذا جميل، لكنكم تعلمون جيدا كره شعب دولتي والأمة لأولاد العم، وبيننا دم وحروب من فجر التاريخ. تريدني أن أصحو باكرًا، وأخطب في الشعب وأقول لهم لقد حلمت أن أولاد عمنا هم أناس طيبون، ويجب أن نعقد معهم صلحا، ونصبح أصدقاء بين ليلة وضحاها؟..

تناول كأسه من الفتاة، ولم ينظر لها نظرة شبقة كعادته، وأكمل وهو يرشف من الكوكتيل:

– أينعم أنا أتحكم في البلاد والعباد، أسيطر على جميع أجهزة الدولة، رجالي يطيعون طاعة عمياء، لا يجروء كلب من الطلبة أو المعارضين أن ينطق كلمة في حقي حتى وهو نائم .. إنما ما تطلبونه مستحيل.

فرغ اللواء من البوح بما يقلقه، وعاد للجلوس، وعلامات القلق تملأ وجه. وساد صمت رهيب على المائدة، ووجم الجميع.

ثم نظر ماريو لبنعامي. وتبادلوا الأنخاب، وضحك بنعامي، وانفجر ماريو في الضحك. تبعه معلول، انفجر ثلاثتهم في ضحك هستيري، حتى كادوا يسقطون من على مقاعدهم.

فنظر لهم اللواء بدهشة، وسرعان ما انفجر هو الآخر في الضحك، حتى دمعت عينه .

أفاق اللواء على معدته، تكاد أن تقتله من قلة الطعام والشراب. ونهض بصعوبة، واتجه إلى باب القمرة الزنزانة، وأخذ يدق عليه بقوة، على الرغم من ضعفه وإعيائه.

– أريد طعاما.. طعاما يليق بقائد عظيم مثلي.. طعام آدمي، وليس طعام لايقربه كلب.

وأخذ يدق، حتى سمع صوت باب القمرة الزنزانة يفتح من الخارج، فتراجع نحو الفراش ذي الرائحة الكريهة، وهو يمني نفسه وجبة تصلب طوله، وتعينه على تحمل هذه الرحلة الشاقة.

أصيب اللواء برعب، عندما دخل عليه شاب يحمل صينية الطعام، فرجع للوراء، حتى سقطت مؤخرته الكبيرة على الفراش، ولم يصدق عينيه، وعجز عن النطق من فرط الرعب والقلق.

الشاب يقف أمامه، بنظاراته الطبية الرخيصة، وابتسامته الراضية لا تفارقه، وعيناه ما زالتا حالمتين.. يرتدي جلبابا أبيض ناصع البياض، مليئا ببقع الدماء الطازجة.

وضع الشاب الصينية على الأرض، وحاول اللواء أن يخرج من هذا الكابوس، بوضع كفه على عينيه، ورفعها بعد دقيقة أو أكثر، فوجد الشاب ذا العيون الراضية يجلس على مقعد، وهو مقيد من كل جانب بسلاسل، وعلي وجهه وجسمه آثار تعذيب شديد.

جلس اللواء أمامه، وأمر فرج أن يفك وثاق الشيخ الشاب، وأمر له بعصير وأكل، ثم تكلم اللواء بهدوء وأبوية

– يا شيخ يا جليل، أنا أعتذر لك عما صدر من هؤلاء الأغبياء، وأعدك أن يكون حسابهم عسيرًا. لكن لي عتاب رقيق.. ما هذي الترهات التي تخطب بها، في الجامع الذي تؤم المصلين به، وتتهم اللواء المؤمن بالكفر والزندقة، بدون أي دليل.. أليس هذا حرام يا مولانا ؟

ما زال الشيخ ينظر للواء بعينه الراضية، وأجاب:

— أنا لم أتهمك يا لواء.. إنما كنت أصفك. والدليل واضح يا لواء، لا يحتاج مجهود. وفرج ورجاله يوزعون علينا نص الخطب التي نلقيها على المصلين في الجوامع والكنائس، حتى لو كانت الدولة والأمة تمر بمحنة، أو تتعرض لاحتلال من أصدقائك في الغرب، أو القصف البربري من أولاد عمك، وأطفال ونساء العامة يقتلون ويحرقون بلا رحمة، لمجرد أنهم قالوا لا، وقاوموا ولم يهادنوا قوى الظلام .

ونص الخطبة، الذي يمليه علينا زبانيتك، هو عن إزالة شعر العانة، أو بر الوالدين وطاعة أولي الأمر، أو ولوج المرأة.. ألا يجدر بالشيخ أو القسيس أن يخطب في المصلين خطبا تحث على المقاومة ورفع الظلم؟ ألا يجب أن يجب أن نحفز الناس على العمل والكفاح، حتى لا نتحول إلى حيوانات استهلاكية، همها حشو المصارين؟

أي دليل، وخيرة شبابنا يجلسون على المقاهي بدون عمل، وبناتنا وصلوا سن اليأس دون زواج، والشباب يموتون في البحر وهم يحاولون الهروب من الجحيم الذي يعيشون فيه؟ أي دليل، ورجال حاشيتك يسكنون القصور والمنتجعات، ويعيش الشعب تحت خط الفقر؟

أتريد دليلا أكثر من انتشار الأمراض المستعصية بين أفراد شعبك، لأن أفراد عصابتك يسممون الغذاء والماء، ويقبضون العمولات، ويرتعون في الدولة، ولم تكلف نفسك عناء إنشاء مدارس

أو مستشفيات للشعب، الذي يعيش كالأموات، يتحايل على الرزق طوال اليوم، ليظفر هو وأسرته بلقمة تسد الرمق؟

ما زال الشيخ يتكلم من قلبه، بكل شجاعة وتحدٍ، على الرغم من التعذيب القاسي الذي لقاه. إنما قوة إيمانه بعدالة وإنسانية ما يدعو إليه أعطته طاقة إيجابية، أخافت اللواء ومن حوله من أعتى مجرمي النظام .

حاول اللواء الاحتفاظ بهدوئه، واستجمع قوته، وبحث عن الطاقة داخله، فلم يجدها. ونظر في عين الشيخ الراضية..

– أنت موتور ومجنون يا بني.. كبار رجال الدين يدعون لي ويباركون قراراتي. ألم تسمعهم يشبهونني بالأولياء الصالحين؟ ألم ترى عندما أشادوا بإنجازاتي من طرق وكباري وأنفاق ومدن جديدة؟ ألم يشيدوا بحكمتي في تجنيب البلاد حروبا وصراعات رهيبة، كانت يمكن أن توقف قاطرة التنمية؟ ألم يفتوا بأن من يهرب في البحر ليس بشهيد؟ ألم يبايعوني جميعهم على القيادة مدى الحياة؟

– أي قائد غيرك كان سينشئ كباري ومدن، بل أكثر من هذا كان سيعمل على رفعة دولته وتقدمها، وعدم اعتمادها على الغرب في كل شيء.. كان سيحيط نفسه برجال كفء، يعملون لمصلحة الدولة وليس عائلاتهم.. كان سيمد يد العون لأبناء أمته وأخوته، ويقف في صفهم ضد أي عدوان غاشم .

ضحك الشيخ ضحكة صافية، وأضاف:

– هؤلاء ليسوا مشايخا يا لواء، وأنت تعلم هذا. كيف أكون رجل دين وأركب سيارات فارهة، وأسافر في الدرجة الأولى، وأعيش في قصور بها حدائق وبساتين؟ كيف لرجل الدين الزاهد غير الطامع في الدنيا أن يكون صديقا ونديما للحكام؟ إنهم رجالك يا لواء لقد ربيتهم وعلمتهم الخداع والتضليل. أطلقتهم علينا في وسائل الإعلام، حتى يسيطروا على عقول البسطاء، الذين علمتهم تعليما سطحيا، لا يساعد على الارتقاء بعقلهم. أنا يا لواء حاصل على شهادات في الفلسفة، من أعرق جامعات العالم، وثقفت نفسي بنفسي، قرأت في جميع المجالات، من لاهوت وطبيعة وفلك، وصرفت كل ميراثي من أبوي على أعمال الخير والدعوة.. الدعوة، التي تهدف إلى إسقاطك.. وإن غدًا لناظره قريب.

اندهش اللواء من غياب الطاقة، والخوف الذي تملكه.. أصبح يشعر به في معدته، وباءت كل محاولاته للتماسك بالفشل، وبدأت حبات العرق تسلل إلى رأسه.

وزاد من رعبه، ما أضاف الشيخ..

– يا لواء.. الفتى المنفي قادم لا محالة، وسيكون نهايتك على يده، عاجلا أو آجلا.

– لم يشعر اللواء بنفسه، إلا عندما نظر إلى الأرض، التي تملؤها الدماء، والمقعد مقلوب على الأرض. والشيخ يسبح بجلبابه الأبيض في بركه من الدماء.

فوقف اللواء بجانب الجثة، ونظر إلى عين الشيخ الراضية، التي ما زالت تنظر إليه برضا، بالرغم من مصرع صاحبها، وأفرغ اللواء ما تبقي من الرصاص في صدر جثه الشيخ. عندها فقط بدأت الطاقة تشتعل داخله أخيرا، ونظر إلى الأعلى، وصرخ صرخة، للتأقلم مع الطاقة التي تملأ روحه.

ما زالت عين الشيخ القتيل تنظر للواء، حتى بعد أن حاول أن يعتدل في جلسته، لاستجماع قواه الخائرة، ليمشي خطوتين حتى الخرم المنبعث منه الرائحة النتنة، الموجود في الأرض، ليقضي حاجته، عسى أن يتخلص من ألم المعدة وانتفاخها . لكنه شعر بهبوط وغثيان، ألقياه على الفراش ذي الرائحة الكريهة، لا يدري بنفسه، وغاب عن الوعي تماما .

لم يعد اللواء يشعر بألم المعدة أو الصداع القاتل، أو حتى بمثانته التي على وشك الانفجار. حالة موات يمر بها اللواء، وكان يتبقى له قدر ضئيل للغاية من الوعي بالوقت أو المكان، لكن هذا القدر الضئيل كان كافيا لتيقنه من أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة.

الظلام الدامس هو ما يراه اللواء، مع انعدام الشعور بأي شيء من حوله . حتى أحس بيد تهزه بعنف، لكنها ليست يد الجندي المكلف بحراسته، أو يد قبطان اليخت.. إنها يد غريبة.. يد تحمل رائحة زفارة السمك!

هذا التحليل توصل له، عند رجوع بعض حواسه للعمل من جديد. وأول حاسة هي الشم، حاسته القوية منذ الطفولة.

عند عودة حاسة السمع أطرق اللواء لصوت صاحب اليد، وهو يتكلم حديثا، من الواضح أنه بدأ منذ برهة. لكن اليد تتكلم بلغة تشبه لغة اللواء، لكن بلكنة غريبة، لم يسمعها من قبل.

ما زالت حاسة النظر متغيبة. حاول اللواء أن يفتح عينه، المفتوحة أصلا، ويحرك أطرافه، لكنه فشل، مما أربكه للغاية. هل هو ميت أم حي؟ أو هو استمرار لمسلسل الكوابيس والذكريات، الذي يعاني منه منذ الإطاحة به، وصعوده على متن يخته جبار البحار، مسجونا في القمرة الزنزانة.

قالت اليد ذات الرائحة الزفرة:

– يبدو أنه ميت هذا الرجل السمين. إنه لا يستجيب ولا يتحرك .ماذا نفعل الآن؟ اذهب واخبر زوما، وسأنتظرك هنا.

اختفي زميله، وبدأت اليد الزفرة في تفتيش جيوب اللواء، ولم يجد شيئا. رفع معصم اللواء، وفك ساعته الذهبية الباهظة الثمن، المصنوعة خصيصا له، تحمل شعار دولته. وابتسمت اليد لهذا الصيد الثمين، تلفت حوله و وضع الساعه في جيبه.

عاد زميل اليد، وقال:

– زوما يقول ألقي هذه الجثة السمينة في البحر، مع باقي جثث طاقم المركب.

همت اليد بمساعدة زميلها برفع اللواء وجثته الضخمة، الذي حاول المقاومة والصراخ، فلم يستجب جسمه. أذنه وأنفه فقط يعملون بكفاءة، أما باقي حواسه وأطرافه لا تستجيب.

تساءل اللواء مستسلما لمصيره أخيرا. إنه الموت، وقد حانت ساعة الحساب، وهؤلاء ملائكة، سوف يلقون بي في الجحيم، حيث أنتمي. لكن لماذا يلقون بالبحارة والقبطان الشاب أيضا؟ وهل رائحة يد الملائكة زفرة.

حاولت اليد الزفرة، التي تحمل ساعة اللواء الذهبية، وزميلها أن يرفعا اللواء من على الفراش، إنما جثة اللواء لم تتحرك قيد أنملة.

قالت اليد:

– رائحة هذا السمين نتنة، وثقيل جدا. لن نستطيع رفعه وحدنا، ونضيع وقتنا والآخرون يسلبون السفينة الآن، وسيضيع نصيبنا في الغنائم. هيا بنا للعمل، ونعود مع باقي الرجال، ونلقي بهذا السمين في البحر.

وافق زميله قائلا:

– فكرة سديدة، لكننا شركاء في هذه الساعة الذهبية.

وقف زوما، كبير القراصنة، في قمرة القيادة في اليخت جبار البحار، يتأمل أجهزه التحكم المعقدة، والشاشات العملاقة. وأخذ يتحسس كرسي القبطان، المصنوع من الجلد الطبيعي الفاخر، الذي يتمركز في منتصف قمرة القيادة . كان زوما في أوج سعادته بهذا الصيد السمين، وتحقق حلمه بالسطو على أفخر وأقوى يخت في العالم. وأخذ يشرف من على كرسي القبطان على عملية السلب والنهب، وإلقاء جثث الطاقم من على سطح اليخت. وضحك في سره، عندما

نظر إلى مركب الصيد المتهالكة، التي يستخدمها، وقارنها بجبار البحار، يخته الجديد .

انتبه زوما كبير القراصنة على صوت أحد رجاله يصرخ صرخة رعب وهلع، ويشير إلى السماء الصافية، التي لا يعكر صفوها ألا طوافة سوداء كبيرة، تقترب بسرعة. طوافة يعرفها زوما جيدا، إنها نفس الطوافة التي أغرقت مركب ابن عمه، كبير القراصنة السابق، وأهلكته ومن معه.

ارتبك زوما، وأخذ في اللطم على وجهه، وخر في أرضية قمرة القيادة، كطفل هارب من أسد متوحش.

في السماء، سرعان ما دارت الطوافة دورة واسعة، بالقرب من جبار البحار ومركب الصيد الملاصق له، وحلقت عاليا في الهواء، وانقضت كالطير الجارح، مطلقة صاروخ، فدمر مركب الصيد تدميرا كاملا، وتناثر خشبه القديم البالي، محترقا على سطح المحيط الأزرق.

أصاب القراصنة حالة رعب وهلع حقيقي، وبدأوا في صراخ جماعي وعويل ولطم على الوجوه، كفرقة موسيقية اوبرالية، بقيادة المايسترو زوما، كبير القراصنة، وصاحب أعلى صوت في النحيب والنشيج. مع اشتداد الدخان الأسود الكثيف، الناتج عن تدمير مركب الصيد، انبطح جميع القراصنة، مثل كبيرهم، على الأرض، في انتظار عودة الطوافة، والإجهاز عليهم بصاروخ.

أصبح المشهد غريبا بعض الشيء، وعصي على التفسير. تبدل الدخان الأسود بدخان أبيض، انبعث من طاقة فتحت بسرعة من

مقدمة جبار البحار. وحين انقشع هذا الدخان، نظر زوما ورجاله للسماء الصافية، فوجدوا الطوافة تهوى ببطء نحو الأزرق محترقة.

ما زال زوما على الأرض، يحاول جمع شتات نفسه، بعد زوال الخطر. فوجد أمامه رجل أبيض، ضخم الجثة، يقف أمام لوحة القيادة في القمرة، يعبث بأحد الشاشات العملاقة، حافي القدمين، يرتدي ملابسه الداخلية، على بدلة بيضاء مفتوحة، مزينة بالنياشين.

جلس اللواء على كرسي القبطان، وأدار محركات جبار البحار، وأمسك بعصا السرعة، ودفع بها إلى الأمام بعنف، فانطلق جبار البحار بسرعة رهيبة، أوقعت بزوما ورجاله على الأرض، بعد أن حاولوا النهوض.

جميع من على سطح اليخت يرقصون ويهللون، فرحين بالنجاة، بعد أن كانوا هالكين لا محالة. نهض زوما كبير القراصنة من على أرض قمرة القيادة أخيرا، وحاول الاقتراب من اللواء، الذي بدا مسيطرا تماما على اليخت. وحاول زوما لمس كتف اللواء، فزجره اللواء بنظرة نارية، أصابت زوما بشلل مؤقت، ورجع خطوتين للوراء مذعورا.

استجمع زوما شجاعته بعد فترة غير قصيرة، وسأل اللواء وهو ينظر إلى الأرض من فرط الرعب:

– من أنت؟ من أنت، أنا زوما العديديي، كبير القراصنة.. من أنت؟ من أنت؟

كان بعض القراصنة قد تجمعوا حول زوما وخارج القمرة، لاستطلاع الأمور. فقام اللواء من على كرسي القيادة، وملامح وجهه تحمل الشر، وصرخ صرخة تصم الآذان:

– أنا اللواء.. أنا اللواء العظيم.

وصفع زوما صفعة أسقطته على الأرض من قوتها..

– أنا قائدكم من الآن أيها التعساء.

رفع اللواء يده عاليا من فرط الطاقة، التي عادت له أقوى من الأول، وصرخ في القراصنة المرعوبين:

– منذ هذه اللحظة، أنا القائد.. أنا اللواء العظيم الحكيم الجبار.

لم يملك زوما ورجاله أمام هذه الطاقة، والمعجزة التي تجسدت أمامهم إلا الركوع، ولامست جباههم الأرض، وقالوا في نفس واحد.. سمعنا وأطعنا يا لولو، لأنهم لم يستطيعوا نطق اللواء بلكنتهم الغريبة.

وكيف لا يطيعون اللواء، وهو كان منذ لحظات جثة هامدة، تقبع في قمرة زنزانة، وعاد من الموت، وأنقذ حياتهم. إذن فهو بالتأكيد إله!

وقف زوما، بعد أن أمر أحد رجاله بتولي الدفة، وقيادة جبار البحار نحو ديارهم. ووقف على سطح اليخت أمام اللواء، الذي كان يستمتع بعودة الطاقة والجو البديع.

- من الآن ولولو كبيري وكبيركم، لا كبير غيره، ولا سجود إلا له.. لا طاعة إلا له، ومن يخالف هذا عقابه الموت في الحال.

فانبرى أحد القراصنة وهتف:

يعيش لولو مونقزنا

يعيش لولو كبيرنا

يعيش لولو حكيمنا

فرد عليه زوما ورجاله:

يعيش يعيش يعيش

و عادت الطاقة بكامل قوتها، لتملأ أعضاء اللواء وصدره وعقله وروحه، حتى فاضت، وكادت تخرج من عينه وأذنه، مع ترديد زوما ورجاله الهتاف الجديد: يعيش لولو كبيرنا يعيش لولو أبو صاروخ

جلس زوما ورجاله القرفصاء، في انتظار أوامر وتعليمات اللواء. ولم يطل انتظارهم.. أول شيء، اختار اللواء أطولهم وأقواهم بنية، وعينه حارسه الشخصي، وأعطاه تعليماته الأمنية.

- من الآن لا تفارقني صبح أو ليل.. لا أحد يستطيع الاقتراب مني ألا بأذني، وأذا شككت في أي كلب، فترديه قتيلا في الحال.. مجرد الشك في النية كافٍ لإطلاق النار. هل كلامي واضح؟

كان الحارس الطويل في غاية السعادة والفخر، وابتسامته البلهاء تملأ وجهه.

– تمام يا لولو.

وأشار بسلاحه الآلي نحو زوما ورجاله، وأخذ يطلق صوتا كوميديا من شفيته الغليظة، وهو يمثل أنه يطلق الرصاص عليهم.

ثم أشار اللواء إلى أصغرهم سنا وحجما، شاب بشوش، بفم كبير وشفاه غليظة، يرتدي ملابسا بالية..

– أما أنت، خادمي الشخصي. من الآن وصاعدا.

وابتسم الخادم الصغير، وأطرق بوجهه للأرض، علامة الموافقة والإذعان.

لا تزال الطاقة حاضرة بقوة في جسم اللواء وروحه، وعادت له غريزته وجبروته، واستمتع بشعور التحكم من جديد، بعد أن ظن كل الظن أنه هلك. ونظر إلى زوما ورجاله، فلاحظ أحدهم يقف ينظر إلى المحيط الأزرق، ويدخن، لا يعبأ باللواء وما يدور من أحداث على سطح جبار البحار، فأشار له اللواء..

– يا هذا!

فنظر للواء بلا مبالاة، ولم يرد. فصاح اللواء بكل طاقته المهولة، بصوت عالٍ:

– لماذا لا ترد يا بهيم؟

فتقدم الرجل من اللواء، والغيظ يملأ وجهه، حتى نفرت عروق رقبته السمراء، وانحني على الأرض ليمسك سلاحا، لكن الحارس الطويل كان أسرع منه، وأطلق دفعة من سلاحه الآلي في صدر ابن

جزيرته، أطاحت به من فوق سطح اليخت إلى الأزرق، الذي اختلط به لون دم الرجل الأسمر.

ربت اللواء على كتف الحارس الطويل، ونظر إلى زوما ورجاله، فلم يجد في عيونهم أي تعاطف مع ابن جزيرتهم. إنما نظرات الطاعة والعرفان والتقديس كلها كانت من نصيب اللواء، أو لولو كما يدعونه.

وضع اللواء يده على صدره، ونظر إلى الأزرق، وهتف المجد لك يا سيد يا عظيم.. أحمد لك إنقاذ ابنك ورجلك الوفي إلى الأبد. وأجدد لك العهد والوعد بخدمتك، أنا وشعبي الجديد، وتنفيذ خطتك، والتمهيد لعودتك والسيطرة على هذا العالم البائس.

هرول زوما نحو اللواء، الذي اكتفى برفع يده، وسأله:

– كم بقي من الوقت حتى وجهتنا يا زوما؟

فنظر زوما إلى الأفق وأجاب:

– ٣ ساعات يا لولو.. سوف نكون في جزيرتنا قبل الغروب.

لم يرد اللواء عليه، إنما توجه نحو قمرته.. قمرته الأصلية، ذات الفراش الواسع ذي الرائحة العطرية، والحمام الكبير بغرفة ساونا وبخار، وغرفة الصالون الواسعة، مع غرفة الطعام المجهزة ببار وشاشة السينما الكبيرة.

كم أفتقد قمرتي المريحة.. لا ينقص الآن إلا بعض الفتيات العذراوات للمؤانسة. أتمنى أن يكون نساء زوما لا يشبهون رجاله. وإلا يكون السيد يعاقبني فعلا.

ضحك اللواء في سره، وخلع ملابسه المتسخة، وأعطاها إلى خادمه الصغير، الذي أصبح خادما محترفا في أسرع وقت. واعتدل مزاج اللواء أكثر، عندما وجد الحمام جاهزا، والماء الساخن المعطر بعطور نادرة ومنعشه يملأ المغطس .

خرج اللواء من المغطس، فوجد خادمه الصغير يحمل له البرنس، المنقوش عليه شعار الدولة الذهبي. وأشار له بالجلوس على مائدة الطعام. وتهللت أسارير اللواء، الذي وجد أمامه أصنافا متعددة من فواكه البحر، التي يعشقها، معدة بطريقة شهية.

ونطق، قبل أن يضع الشوكة في فمه..

– المجد لك يا سيد.

فرغ اللواء من الأكل، الذي لم يتبق منه أي شيء يذكر، ووضع كفه على معدته، وتجشأ مثل التنين، ومشي في اتجاه الفراش ذي الرائحة العطرة، والبرنس مفتوح، يظهر كرشه الضخم وأعضائه المتدلية.

ألقى اللواء مؤخرته الكبيرة على المراتب المريحة، والوسائد المصنوعة من ريش النعام، واتخذ جسمه السمين وضع نجمة، ومد يده بجوار الفراش، ليمسك بالهاتف المتصل بالقمر الصناعي الخاص به، وضغط رقم واحد، فظهر اسم علوان، خادمه المطيع، على الشاشة الخضراء

لكن لا حياة لمن تنادي..

ضغط رقم ٢ ماريو، فاستمع إلى صافرة مزعجة تنبعث من سماعة الهاتف.

بدأ صبره ينفد، وتملكه شعور بالخنق، وضغط ٣ فظهر على الشاشة الخضراء اسم معلول الثاني، لكن بلا جدوى.

٥ بنعامي، فلم يحصل غير على الصافرة المزعجة.

كل الأرقام التي ضغط عليها غير متاحة. فقذف الهاتف في الحائط، فهوى على الأرض قطعا صغيرة، لكنه سرعان ما خرج من حالة الحنق، وقال لنفسه بهدوء.. لننتظر حتى نصل إلى أرض القراصنة، وعندها أرسل زوما لعلوان أو معلول الثاني، ليبلغهم عنواني الجديد.

ضحك اللواء بصوت عالٍ تملأه الطاقة على كلمة عنواني الجديد. سرعان ما تحسن مزاجه نتيجة الحمام الساخن المعطر وفواكه البحر، التي زادت من طاقته وإثارته، وأخذ يمني نفسه بعذراوات جزيرة القراصنة، واحتضن وسادة من الريش، ودفن فيها إثارته المتفجرة.

أفاق اللواء على صوت الحارس الطويل، وهو يقول لقد اقتربنا من الجزيرة يا لولو. ماذا نفعل الآن؟

كان اللواء نائما على بطنه، فاعتدل على الفراش ذي الرائحة العطرة، وقال للحارس الطويل:

- فلتضيء كل أنوار جبار البحار، وأغرب عن وجهي الآن.

نظر اللواء إلى خادمه الصغير، فوجدوه منهمكا في تحضير بدلة بيضاء مليئة بالنياشين والأوسمة من داخل خزانة الملابس الواسعة .

خلع اللواء البرنس الموشى بشعار الدولة الذهبي، وارتدى البدلة البيضاء والطاقة تملأه. عندما هم خادمه الصغير في الركوع على ركبته، لمساعدته في وضع الحذاء الأبيض، ركله اللواء، وصرخ فيه:

– لا أريد أحذية بعد الآن. لقد اكتشفت أنها تضايقني، وأنا لا أريد ما يضايقني. سأنزل بدونها إلى الجزيرة.

اصطف القراصنة على جانبي جبار البحار بسلاحهم. وقف اللواء في كابينة القيادة بجوار زوما، الذي يقود جبار البحار بخبرة وبراعة بحار عجوز، مع إنه لم يتجاوز العقد الثالث من عمره. ودخل بجبار البحار في غابة من الأشجار الكثيفة، تفضي إلى مضيق في وسط الجزيرة الخضراء، من كثرة النباتات والأشجار العملاقه، التي تغطيها بتلالها ووديانها، المضيق بالكاد يسع جبار البحار. حتى اللواء كان معجب ببراعة زوما، ومد يده خارج الكابينة، وقطف زهرة من على أحد الأشجار التي تحيطهم من كل جانب، ومن فوقهم أشجار كثيفة تغطي المضيق.

وصلوا إلى نهاية المضيق، الذي أفضى، بهم إلى خليج صغير وعلى شاطئه توجد بعض المنازل المصنوعة من الأشجار، في تجمعات صغيرة

نظر اللواء إلى أعلى، فرأى شعاعا بسيطا من الشمس، التي قاربت على الغروب، ولون السماء البرتقالي يكاد لا يرى بسهولة، من الأشجار التي تغطي الجزيرة. وأيقن اللواء عبقرية هذا المخبأ، الذي يجعل من المستحيل اقتحام الجزيرة من البحر أو الجو.

ربت اللواء على كتف زوما بحنان أبوي صادق، فلثم زوما يد اللواء، والدموع تملأ عينيه امتنانا وعرفانا.

كان الخبر قد أشيع بطريقة ما على جزيرة القراصنة. ففي اللحظة التي ألقى جبار البحار بمرساته أمام الشاطيء، حاصرته مراكب الصيد البدائية الصغيرة، الممتلئة عن آخرها بنساء وأطفال ورجال، يشبهون زوما ورجاله. وبدأ حفل الاستقبال بالهتاف الجديد: يعيش لولو أبو صاروخ.. يعيش منقذنا من الهلاك.. يعيش قائدنا وزعيمنا.. يعيش لولو أبونا إلى الأبد.

اكتفى اللواء برفع يده لتحية شعبه الجديد، بالضبط كما كان يرفعها لتحية شعبه القديم، وشعر بالطاقة تملأ روحه وصدره وعضوه.

نزل اللواء من على جبار البحار بصعوبة، ليس بسبب سنه أو مرضه، إنما بسبب تزاحم أهل الجزيرة حوله، كأنه نجم سينمائي مشهور، أو رياضي بارز، أو زعيم خالد. فتجد من يحاول أن يلمسه لينال البركة، ومن يقدم له الفاكهة، حتى وطئت قدمه الحافية رمل شاطيء الجزيرة، وكبارها يلقون الأسماك تحت قدمه، كعادتهم في تقديم القرابين للآلهة، كما شرح له زوما، الذي كان يمشي بجوار اللواء مختالا فخورا، إلى أن وصلوا للمنزل الكبير، الذي يقع في طرف الجزيرة ، منعزلا عن باقي السكان بمسافة تمنحه بعض الخصوصية. وهو منزل لا يشبه العشش المقامة من أفرع الأشجار، التي يعيش فيها الباقون، إنما هو منزل يشبه بيوت الغرب في المنتجعات السياحية، ومحاط بسور كبير، وبه حديقة مليئة بأشجار الفواكه ونخيل عالٍ

وأزهار جميلة، لونها يسر الناظرين. توقف أهل الجزيرة عند باب الحديقة، وهم يتابعون اللواء وخلفه زوما بأعينهم.

تقدم اللواء مع زوما، وصعدا الدرج، وأبدى اللواء إعجابه بالشرفة الفسيحة، التي تطل على الخليج. دلف اللواء إلى داخل المترل، فوجد بهوًا فسيحا، فوقف في منتصفه، ونظر حوله، فوجد أربع أبواب، لا يشبه أحدهم الآخر .

تقدم من الباب الأول، وفتحه. فوجد حجرة نوم كبيرة، بها فراش كبير، مفروش بأغطية حريرية نظيفة وجديدة، وصالون كبير به شاشة عرض عملاقة ومكتبة أفلام، ناهيك عن الحمام الواسع المجهز بجميع وسائل المتعه والراحة.

قبل أن يخرج اللواء من الغرفة، قرأ على الأغطية الحريرية شعارًا يعرفه جيدا.

هرول اللواء، وخلفه زوما، واقتحم الحجرة الثانية. وفوجئ اللواء بغرفة طعام تسع ٢٠ شخصا، وملحق بها مطبخ، به جميع الأجهزة المطلوبة لخدمة ضيوف غرفة بهذه الروعة، بأثاثها المذهب، مع الشعار الذي يعرفه اللواء أيضا.

في طريقهم للثالثة، اختلس زوما النظر لملامح وجه اللواء، المتجهمة لسبب لا يعلمه زوما؛ لكن اللواء كان يعلمه جيدا، وينتظر اللحظة المناسبة ليستجوب زوما، بعد هذه الجولة المبهجة المحزنة في آن واحد.

الغرفة الثالثة كانت ناديا رياضيا كاملا، به غرفة بخار تعمل، وسرير مساج مكسو بجلد طبيعي، وحمام سباحة صغير . لكن لم يلحظ اللواء أي شعار.

الغرفة الرابعة كانت خالية تقريبا، إلا من بعض الكراكيب وصناديق النبيذ الفاخر والسيجار، وبعض صناديق أخرى لم يهتم اللواء بمحتوياها كثيرا، في الوقت الراهن.

فور خروجهم من الغرفة الرابعة، تلقى زوما صفعة قوية من يد اللواء الغليظة، على مؤخرة رأسه، تبعتها ركلة في مؤخرته، وزعق اللواء بكل طاقته الشريرة:

– كيف استوليتم على هذه اليخوت، وما مصير ملاكها، ومن بنى هذا المترل الملعون يا بهيم؟

الصفعة والركلة زائد الأسئلة التي انطلقت من فم اللواء كالسيل المندفع صدمت زوما، وشلت تفكيره المحدود، الذي صور له أن لولو سيكافئه ويعامله باحترام، بعد أن يسكن في هذا البيت، الذي بناه كبير القراصنة الراحل .

– أرجوك لا تغضب يا لولو

قالها زوما وهو راكع على الأرض، يبكي ويلطم وجهه، كأرملة فقدت بعلها للتو..

– سأشرح لك كل شيء.

جلس اللواء على مقعد وثير في البهو الفسيح، واعتدل مزاجه نسبيا، عندما وجد سيجارا لاتينيا فاخرا في يده، وخادمه الصغير يقترب منه، وفي يده عود ثقاب مشتعل.

خرج الدخان من فم اللواء مثل فواح البركان الغاضب، وزجر زوما الراكع أمامه..

– تكلم يا بهيم.

– هذا المنزل بناه ابن عمي، كبيرنا الذي قتل الأسبوع الماضي، عندما هاجمته الطوافة السوداء، وفجرت مركبه، وقضت عليه هو ورجاله في لحظات، وجعلت جثثهم طعاما لأسماك القرش.

بنى هذا المنزل من الغنائم، التي حصل عليها من يخوت فاخرة، استولى عليها، وقتل ملاكها، وكل من كانوا على متنها، وأثث هذا المنزل ليتزوج فيه من أحلى فتاة في الجزيرة. لكن القدر لم يمهله.

شعار غرفة النوم هو شعار يخت صديقي العزيز كاربوف، سمسار الأسلحة، الذي شاركني في صفقات، أرباحها فاقت الخيال. كان يعيش ويعمل في الغرب، إنما أصول عائلته كانت من الكتلة الشرقية. كان السيد يحبه ويحميه، لأنه كان بارعا في عمله.كان ماريو يشعل حروبا أهلية وصراعات عرقية في القارة السمراء، ويشتري كاربوف الأسلحة من الكتلة الشرقية، بعد أن انهارت، بأبخس الأسعار. ويشحنها لدولة اللواء، وتخزن في بطن مركبين عملاقين، أحدهما يحمل العلم الأزرق، يسلم لفصيل.. والثانية تحمل علما أصفر، تسلم لفصيل آخر.

– سأفتقدك يا كاربوفي العزيز، وأفتقد تعاونا المثمر.

قالها اللواء على مسمع من الجميع، ونظر حوله، فوجد الحارس الطويل يقف خلفه، حاملا مدفعه الرشاش، وعلى أهبة الاستعداد، وخادمه الصغير قادم من المطبخ، حاملا طبق كبير مليء بفواكه طازجة، رائحتها أثارت اللواء، وذكرته برغبته الملحة في افتراس عذراء أو أكثر .

لكن هذا لم يمنعه من إشعال سيجار لاتيني جديد، وأخذ رشفه من كأس الكونياك، وقال:

– حتى أنت يا سيدروا لم تسلم من القراصنة الأغبياء.

كان اللواء يقصد صاحب اليخت الفخم، الذي استولى كبير القراصنة عليه، واحتفظ بغرفة الطعام الفاخرة.

سيدروا كان ملك صناعة الأدوية في العالم، كان شريكا أساسيا للواء في كل شيء، من مصانع أقامها في دولة اللواء، لرخص الأيدي العاملة والدعم غير المحدود، من أراضٍ وتسهيلات في الضرائب. هذا بالطبع لأن مواطني دولة اللواء مرضى بأمراض عجيبة، من جراء التلوث في الماء والطعام والجو، فكانت دولة اللواء سوقا ذهبية لمنتجات سيدروا غير الفعالة وغالية الثمن. لكن تعليمات اللواء لرجاله في مجال الصحة كانت واضحة، وهي التخلص من كل من يفكر في إنتاج بديل محلي رخيص وفعال لهذه الأدوية في الحال.

تناسى اللواء حزنه على شركائه، ونظر إلى زوما، الذي قام من على الأرض، وذهب في اتجاه باب الحديقة، وفتحه على منظر وجوه أهل الجزيرة السمراء، ينظرون دخل المترل بفضول قاتل، مما أثار غيظ اللواء، ونظر إلى الحارس الطويل نظرة، فهمها الحارس على الفور/ وهم بالخروج وإطلاق بعض الأعيرة النارية في الهواء لتفريق هؤلاء الفضوليين. لكن اللواء زعق فيه بكل طاقته الشريرة، التي كانت متركزة في عضوه، ليتوقف عندما لمح فتاة صغيرة، تتوسط زوما وامرأة عجوز شمطاء، على رأسها شعر أبيض مجعد، ولا يظهر من وجهها ألا أنف مدبب، وظهرها محني من شقاء السنين.

تقدم ثلاثتهم، واللواء الذي لا يستطيع رفع عينه عن الفتاة الصغيرة، التي ينسدل شعرها الناعم حالك السواد، مخفيا صدرها العاري. وترتدي على خصرها قماشا من الكتان الأبيض، شفاف مرصع بالمحار.

وصلت طاقة اللواء لقمتها الآن، عندما ركع ثلاثتهم تحت قدمه، وقالت العجوز ذات الأنف المدبب:

– يا لولو، اقبل مني هذه الهدية، التي لا تليق بمقامك. إنها درة العذراء، عروس ابني، كبير القراصنة الراحل، التي لم يزف إليها، وهي ما زالت بلبس الفرح. أقدمها لك عرفانا وتقديرا لإنقاذنا من الطوافة السوداء، التي أحالت حياتنا إلى جحيم، وقتلت ابني ومن معه.

لم يرد اللواء عليهم، لأنه شعر أن قلبه سينفجر، عندما علت الطاقة في كل حواسه، وقام بصعوبة من على الكرسي المريح، ليس

بسبب كبر السن أو المرض، إنما بسبب عضوه المنتصب. وأمسك بيد الفتاة، ونظر إلى عينيها السوداء الضيقة، ووجنتيها البارزتين كقطعة فاكهة لم تقطف بعد، وسحبها إلى غرفة النوم. وأغلق خادمه الصغير الباب خلفه، ووقف حارسه الطويل على الباب.

طرح اللواء الفتاة العذراء الصغيرة، ذات الوجنتين البارزين على الفراش الحريري المزين بورود وفواكه طازجة، لم يرها اللواء من قبل، وخلع ملابسه بسرعة شاب يافع، وألقى بجسمه الثقيل فوق العذراء المسكينة، وكان المشهد يشبه صورة ديناصور أسطوري يلتهم نعجة بريئة.

كانت أشاعة شمس الضحي تسلل من بين أفرع الأشجار الكثيفة، التي تحمي الجزيرة وسكانها، وزوما وقومه ما بين النوم والصحو، قابعين أمام منزل اللواء. كادت النار الكبيرة التي أشعلوها منذ أن أغلق اللواء غرفته وانفرد بالعذراء ذات الوجنتين البارزتين أن تنطفيء، وهمتهم أيضا، بعد أن أمضوا كل الوقت في الرقص والغناء، وسادت الجزيرة أجواء احتفالية صاخبة، بمناسبة ظهور لولو، وإنقاذ حياة القراصنة. وبات الجميع قاب قوسين أو أدنى من الاقتناع بأنه إله، جاء ليقودهم نحو غد أفضل. فهناك شيخ عجوز يقول إن دليل ألوهية اللواء أنه يرتدي الأبيض، ولا يملك حذاء، وامرأة تقول إن الطوافة السوداء هي إله الشر، جاء ليدمر رزقهم، ويقتل أبناءهم. ساعد في تقوية هذه الخرافات زوما ورجاله، الذين كانوا في عداد الأموات ويصرخون ويولولون، وهم في انتظار صاروخ ثانٍ من الطوافة السوداء، ناهيك عن جهل أهل الجزيرة المنعزلة .

انتبه زوما وقومه، النائمين على الأرض أمام منزل اللواء من فرط التعب، إلى باب الحديقة يفتح، ويخرج الحارس الطويل، ويلقي بالفتاة،

التي كانت عذراء، خارج الحديقة، ويغلق الباب بعنف. اجتمع زوما وقومه حول الفتاة، التي كانت بالكاد تحملها أرجلها، ولا تقوى على المشي. وهمست العجوز ذات الظهر المحني في أذنيها سؤالا لم يسمعه أحد، فهزت الفتاه رأسها بالإيجاب، فاستدارت العجوز ناحية زوما وقومه، وصرخت:

– لولو إله.. لولو إله!

مرت أيام وأسابيع، واللواء قابع في مترله الجديد، الذي أصبح قصر الحكم، لا يقابل أحدًا إلا الفتيات، اللاتي يحضرهن له خادمه الصغير كل يوم، من عذروات الجزيرة، اللاتي استهلك اللواء معظمهن في أيام قليلة، مع أرطال من الأسماك الطازجة، والفاكهة التي لم يسمع عنها من قبل.

في هذه الأيام، صرف اللواء النظر عن الاتصال بعلوان أو ماريو، ولو مؤقتا. وكان تبريره لنفسه أن هناك حربا على السيد، بدليل فقده اثنين من خيرة أبنائه: كاربوف سمسار السلاح، وتاجر الأمراض والأدوية عديمة الجودة سيدروا.

وما خفي كان أعظم، هذا غير الإطاحة به وبنظامه من قبل بعض الشبان.

– إذًا سأنتظر على هذه الجزيرة، والسيد سوف يتصل بي عندما يحتاجني، أو بالأحرى عندما يقضي على من يحاربه، ويسحقهم مثل الحشرات.

و كان اللواء مستمتعا أي استمتاع بين زوما وقومه، الذين يوفرون له كل سبل الراحة، ويعاملونه مثلما كان يعامل في دولته، كإله لا يحكم فقط، إنما يتحكم.

وأخذ اللواء في الصراخ بكل طاقته الشريرة..

– المجد لك يا سيد.. أخذت مني دولة اللواء، وعوضتني بجزيرة اللواء.. المجد لك يا سيد.. المجد لك.

كان صراخ اللواء، المليء بالطاقة يصم آذان زوما وقومه، ويرعبهم كالريح العاتية، فهربت الطيور من أعشاشها على الأشجار، مصدرة بأجنحتها أصوات الهروب، وجري الماعز والخراف في جميع أرجاء الجزيرة بلا هدف، وعلا بكاء الرضع في أحضان أمهاتهم، وأخذت الكلاب تعوي مثل الذئاب، رافعة أعناقها نحو السماء، الذي كان فيها القمر مكتملا، تراه بوضوح من بين أغصان الأشجار، التي تغطي الجزيرة. ويتناثر ضوءه كقطع فضية لامعة على سطح الخليج الهادئ، الذي يرسو عليه جبار البحار، سفينة الإله لولو أبو صاروخ، كما يدعوه زوما وقومه.

تقدم الحارس الطويل بهدوء من اللواء، الجالس على كرسي مريح في حديقة قصر حاكم الجزيرة، عاريا كما ولدته أمه، وفتاة تدلك له رجله، وأخرى تدلك له عنقه، وفتاتان واقفتان في انتظار تلبية طلباته أو رغباته المباغتة . تكلم الحارس الطويل وقال:

– زوما يلح على مقابلتك منذ أيام وليالٍ طويلة، وهو الآن منهار من البكاء، ويرجوك الموافقه له بالمثول أمامك لدقائق معدودة فقط.

لم يرد اللواء، الذي كان مشغولا بالاستمتاع بحرارة الشمس الدافئة، التي نجحت في التسلل إلى جسم اللواء السمين، عبر درع الأشجار الكثيف، الذي يحمي الجزيرة. مد الخادم الصغير القابع تحت قدم اللواء يده، وناوله ثمرة، قضم اللواء ملء فمه من الثمرة التي تشبه التفاح، لكنها ذات لحم طري، ومليئة بالعسل الذي سال على ذقن اللواء، وأشار بيده للحارس الطويل إشارة فهم مغزاها. لم تمض ثانية، حتى ركع زوما تحت قدم اللواء، وهو يجفف دموعه، وشرع في شرح الهدف من الزيارة.

– يا لولو لقد مرت أسابيع ولم نخرج للعمل. وليس لنا مورد آخر غير القرصنة. أرجوك يا لولو، قدنا في عملية، لنسلب وننهب السفن التي تمر في منطقتنا. أرجوك يا لولو.

وأزاح زوما الفتاة المنهمكة في تدليك قدم اللواء، وأخذ يقبل قدم اللواء، مما حدا باللواء برفسه رفسة قوية، أسقطته على ظهره، والحارس الطويل يصوب مدفعه الرشاش إلى رأسه، في انتظار تعليمات اللواء، الذي قال ببرود:

– مع الغروب، أريدك أن تجهز جبار البحار، و٢٠ رجلا من خيرة رجالك.

وأشاح بيده، فقفز زوما بخفة، وانطلق من باب حديقة قصر حكم الجزيرة كالريح، وهو يحتفل بطريقة غريبة، وهي القفز في الهواء والتصفيق برجله.

مد اللواء يده، وأمسك أحد الفتيات من نهدها، وجذبها بعنف، وأجبرها أن تجلس على قدمه، وأخذ يعبث في صدرها وبين أرجلها، وهو يضحك ضحكة مليئة بالطاقة، والفتاة المسكينة مستسلمة لمصيرها.

كانت ليلة لم يظهر فيها قمر بعد. وقف فيها اللواء في غرفة قيادة جبار البحار، ببدلته البيضاء المرصعة بالنياشين والأوسمة، واعتمر كاب العمليات المموه، لكنه حافي القدمين، كعادته الأخيرة، لأنه أصبح يكره الأحذية ومن يلبسونها.

في نفس الوقت، أمسك زوما مقود اليخت، وقادهم براعة عبر المضيق الضيق، إلى الأزرق الواسع المعتم .

ضغط اللواء على أجهزة الملاحة، المتصلة بالأقمار الاصطناعية، وشخص ببصره في شاشة جهاز الرادار، ووضع إصبعه على نقطة زرقاء صغيرة في يسار الشاشة، فظهرت إحداثيات، على أساسها أعطى تعليمات لزوما بتغير مسار جبار البحار إلى الشمال الشرقي في الحال.

نفذ زوما التعليمات بدقة، وجلس اللواء على كرسي القيادة المكسو بجلد طبيعي، وأشعل له خادمه الصغير سيجاره اللاتيني، وناوله كأس الكونياك، ووقف حارسه الطويل خلفه.

مضت أكثر من أربع ساعات، واللواء يدخن ويحتسي من كأسه، وينظر إلى شاشه الردار. ونبهه زوما بإشارة من إصبعه إلى بزوغ القمر

من ناحية الشمال الشرقي . مما زاد من طاقة اللواء، التي تعتمل داخله كلما نظر إلى القمر الأصفر، الذي يولد من رحم الليل.

وأخذ يتمتم:

– المجد لك يا سيد.. كل ما وعدتني به نفذته، فامتلكت وملكت، حكمت وتحكمت.. المجد لك يا سيد.. أرجو أن تغفر لي أني فقدت إيماني بك في لحظات الأسر المريعة، في ظل الكوابيس الفظيعة التي انتابتني. اغفر لي يا سيد، المجد لك. لقد أدركت الآن أنها كانت اختبار في مرحلة انتقالية لأتحول إلى إله، وأعد العدة للمعركة الأخيرة، التي ستقودها بنفسك، لتقضي على أعدائك، وتتحكم في هذا العالم البائس.

فرغ اللواء من تمجيد سيده، واقترب من شاشة الردار، والنقطة الزرقاء، التي اقتربت من منتصف الشاشة، فعبث في أزرار الردار، فظهرت بيانات النقطة الزرقاء، وابتسم اللواء وهو يقرأها بصوت عالٍ:

اسم السفينة معلول ٦

الحمولة ٥٠٠٠٠ طن

الوجهة الغرب

قادمة من إمارة الشرق

السرعة ٢٥ عقدة

المسافة ١٤ ميل بحري

ضغط اللواء على زر بجانب الردار، وأداره، ونظر إلى زوما، الذي يكاد يطير من فرط الانبهار.

– هذا الزر سيجعل جبار البحار لا يظهر على أي شاشة ردار. أنت الآن تقود سفينة خفيه يا بهيم.. زد سرعتك إلى ٤٠ عقدة، وتوجه ناحية القمر، الذي تغير لونه من الأصفر إلى الفضي، وصار موقعه في منتصف السماء.

نفذ زوما تعليمات اللواء، وأطلق العنان لمحركات جبار البحار، الذي لم يخذلهم، وكاد أن يطير فوق سطح الأزرق كالسهم، في اتجاه معلول ٦، سفينة الموارد الطبيعية الأكبر في العالم.

ونظر اللواء في زجاج قمرة القيادة، وقال:

– ها قد حان دورك يا معلول يا مخبول.

والطاقة تتعالى في روح وعقل اللواء.. طاقة الانتقام من معلول، الذي لم يبذل أي جهد في إنقاذ اللواء.

صعدت الطاقة إلى عين اللواء، الواقف ينظر عبر الزجاج للقمر الفضي. أغمض اللواء عينه وفتحها عدة مرات، لإزاحة طاقة الانتقام من عليها، فلم ير غير صورة معلول في زجاج القمرة، وهو يضحك وماريو بجانبه، يبتسم ابتسامته المريحة.

نظر اللواء حوله، فوجد نفسه في بهو قصر كبير، مليء بالأعمدة الذهبية، ويتبع معلول، الذي لم يتوقف عن الضحك، نحو قاعة واسعة، بها موائد عليها أصناف عديدة من المأكولات والمشروبات،

ويجلس بنعامي وبجانبه شاب شكله غريب، يقابله اللواء لأول مرة، يرتدي بنطالا من الجلد الأسود، وسترة مفتوحة من الجلد الأسود أيضا، تظهر شعر صدره القليل.

سلم اللواء على الشاب، الذي كان يملأ وجه بمساحيق، ويرسم هالة سوداء حول عينيه، وتتدلى من عنقه سلسلة كبيرة عليها جمجمة.

تكلم ماريو بوجهه المريح، وهو منهمك بالتهام فخذ خروف صغير:

– أود أن أعرفك يا لواء على فنان، سيكون له شأن في السنوات القادمة، وسوف تبيع موسيقاه ملايين النسخ، وسيكون زعيما لشباب الغرب.

ابتسم اللواء للرجل ذي الجمجمة في عنقه، وضحك من قلبه على بنعامي، الذي كان يرتدي ملابس إمارة الشرق، فلم يستطع أن يميزه عن معلول وأخوته.

تبادلوا الأنخاب، والتهموا المشويات التي أمامهم، حتى وقف ماريو، واقترح نخب لتهنئة معلول الثاني باعتلائه عرش الإمارة والإمارات المجاورة، بعد أن تخلص من والده ذي الفكر المتحجر، كما وصفه ماريو، بطلقة في الرأس، واتهم أحد أبناء عمومته بالجريمة، ونفذ فيه حكم الإعدام.

و زاد ماريو:

– السيد فخور بك يا معلول، وكلنا ثقة أنك ستكون نعم العون لنا.

ورفع كأسه في الهواء قائلا:

– المجد لك يا سيد.

وقلده الجميع بحماسة لا تقل عنه.

بعد العشاء، جلس الجميع على وسائد حريرية على الأرض، وقدمت لهم فتيات يسترن وجوههن، ويرتدين ملابسا شفافة، تظهر أجسادهن البديعة، الفاكهة ومزيد من الخمور، في قاعة أخرى، إضاءتها منخفضة، وأثاثها أقل، ومليئة بستائر حريرية في منتصفها، على شكل مربعات.

جاءت جلسة اللواء بجانب بنعامي، الذي قال للواء:

– كم أنا سعيد اليوم يا لواء.. لقد تخلصنا من معلول الأول، الذي كان عقبة في طريق خطة السيد. كان لا أحد يضاهيه في العناد وضيق الأفق، وكان يعتقد أنها بطولة أن يرفض كل العروض التي قدمها له السيد والغرب، وكان عدوا حقيقيا لدولتنا، وكان يحلم أن يلقي بشعبنا المسالم الوديع في البحر. كان يجلس على كنز لا يفنى من الموارد الطبيعية، وهل تعرف ماذا كان ينتوي أن يفعل بكل هذه الثروات؟ هل تتخيل يا لواء؟

رد اللواء على بنعامي، وهو يقاوم النعاس والهياج الجنسي، بعد هذه الوليمة والفتيات المستورات الوجوه، الذي لم يرفع عينه من على أجسادهن البديعة.

أضاف بنعامي:

– كان ينتوي أن يسلح أهل الأرض المحتلة، ودول المواجهة. ليس بالسلاح فقط، إنما بتعليم حديث، وصناعة ثقيلة، وزراعة. والأنكى، استخدام الموارد الطبيعية، التي لا يستطيع الغرب الاستغناء عنها، كسلاح ضغط، ليوقف الدعم من العالم المتحضر لدولتنا الوليدة المسالمة.

هنا أخذ اللواء دفة الحديث، واعتدل في جلسته، وتكلم بصوت عالٍ، مما أثار انتباه الجميع.

– السيد لا يقف في طريقه شيء أو أحد، فتبني معلول الثاني وعلمه ورباه كابن له، ولم يبخل عليه بشيء، وأحاطه برعايته، كما أحاطنا جميعا، ورسم له الطريق الذي سار فيه.

رفع معلول رأسه من على الصينية الذهبية، المليئة بمسحوق الكوكايين، ومسح أنفه بسرعة، وتناول كأسه، ووقف والطاقة تملؤه، وهتف:

– المجد لك يا سيد.

أخذ ماريو دفة الحديث من اللواء، وخطب في الجميع أن اليوم معلول الثاني وقع عقودًا مع شركات، لتبني في إمارته والإمارات المجاورة موانيء ومطارات..

– عقود مع أكبر شركات السيد، شركاتكم يا أخواتي، لاستخراج الموارد الطبيعية، وتوجيه مواردها لصالح خطة السيد، عن طريق مصارفنا. وأعدكم يا أخوتي أنه في غضون سنوات تعد على

اليد الواحدة، ستتحول هذه الصحراء الجرداء إلى واحة من التقدم والازدهار، ومركز من أهم مراكز المال والأعمال في العالم.

جاءت الإثارة والطاقة في روح اللواء، مع قدوم الفتيات المستوري الوجه بملابسهن الشفافة، لتقديم مزيد من الخمور والفاكهة للضيوف. وأخذ اللواء وضع الاستعداد للانقضاض على إحداهن وإتيانها من الخلف لحظة انحنائها لوضع الفاكهة على المنضدة المنخفضة، لتكون في مستوى الوسائد الحريرية.

لكن ماريو همس في أذنه اليسرى:

– لا تتعجل يا لواء، لقد أعددت لك برنامج مليئا بالإثارة والمتعة، وفر طاقتك، سوف تشترك به بعد قليل.

اقترب اللواء من ماريو، وسأله وهو يشير إلى الشاب ذي القلادة الجمجمة .

– من هذا المهرج يا صديقي؟

ضحك ماريو، وشرح للواء بهدوء آخر أفكار السيد..

– هذا الشاب يا لواء هو صاحب فرقه موسيقية من عاصمه الغرب القديمة، فعل المستحيل للتقرب من السيد.. بدأ بقتل الأرانب والقطط وشرب دمها، حتى توصل هو وأصدقاؤه لذبح فتاه عذراء عند اكتمال القمر، حتى قابله السيد وتبناه، ودعمه لإنتاج نوع جديد للموسيقى الصاخبة جدا، نغماتها تشبه ارتطام المعادن وكلمات أغانيها تمجد السيد، وتحث على العنف والكراهية والتمييز العنصري.

الأذن يا لواء، الأذن مدخل رائع للمخ. السيد طور هذه النغمات، لتسيطر على عقول الشباب، وتجندهم لصالح خطته، وهذا غير الأرباح الطائلة من حفلات وأسطوانات هذا النوع، التي تحقق مبيعات خيالية في الغرب. سوف تستمع لها الآن أثناء حفلتنا.

في ثوانٍ، اختفت الستائر من أمامهم، وزادت الإضاءة في القاعة، وقام الشاب ذو القلادة الجمجمة، ووقف في منتصف القاعة، ورفع يده اليسرى عاليا، وبدأت موسيقى صاخبة تصدح، لم يتبين اللواء مصدرها. وقام معلول، الذي كان تحت تأثير الخمر وكميه كوكايين غير قليلة، وأخذ يتمايل مع الموسيقى، التي لم يكن ماريو يبالغ في تشبيهها بارتطام المعادن .

نظر اللواء للشاب، الذي ما زال يرفع يده اليسرى عاليا، حتى تدلى حبل من السقف، مربوط به جيتار الكتروني أسود، وبدأ الشاب في مصاحبة الموسيقي غير الواضح مصدرها، لكن الواضح أن اللواء لم يستسغها .

لاحظ اللواء، عند اختفاء الستائر، وجود أسرة معدنية، تشبه أسرة المشرحة، وشخص ببصره، فوجد سلاسل تتدلى من السقف بكثرة. فلم يفهم. نظر إلى ماريو، وحاول أن يسأله، لكن موسيقى المعادن الصاخبة طغت على صوته.

أشار ماريو لمعلول، الذي اتجه على فوره إلى ركن في القاعة، وفتح بابا، خرج منه ٥ عبيد سود، بسراويل حمراء وعضلات مفتولة،

يمسكون ب ٥ فتيات عاريات، لا تزيد أعمارهن عن ١٦ عام بأقصى تقدير.

كانت موسيقى المعادن تزعج اللواء بشدة، لكن على الجانب الآخر الطاقة والفتيات كانوا كفيلين بإثارته واعتدال مزاجه.

قام العبيد بربط الفتيات في السلاسل، فوق الأسرة المعدنية، بدون أي مقاومة من جانب الفتيات، التي تحمل عيونهن المبتسمة نظره انتشاء. ناول بنعامي اللواء كأسا به سائل أبيض فوار، رشفه اللواء، بدون أن يسأل ما هو، لأنه وجد الجميع يشربون مثله في نفس اللحظة. شعر اللواء بشعور غريب. فجأة بدت موسيقي المعادن مستساغة، بل تزيده طاقة، وبدأ اللواء في التمايل معها والاستمتاع بها.

تقدم معلول، وأشار بيده للعبيد بالانصراف، وبدأ ماريو في توزيع معاطف من الجلد، تشبه زي الجزارين، وتقدم اللواء من أحدها.

شعر اللواء أن كل حواسه تعمل بكل طاقاها، فأصبح يسمع بوضوح وتلذذ، يرى الألوان أوضح، والإضاءة القوية لا تزعجه. قدمه أصبحت تسير على قطن أو إسفنج مريح.. رائحة بخور نفاذة في أنفه ، لكنها تزيده نشوة وطاقة. لم يعد يشعر بعضوه أو جسمه، كمن أصبح جميع أعضائه مجتمعين في عضو واحد

نظر حوله، فوجد بنعامي طارحا فتاة على سرير المشرحة، ويعبث في صدرها الصغير بكرباج، وعلى فمه ابتسامة عريضة، والفتاة مستسلمة تماما

ما زال اللواء يحاول السيطرة على أعضائه، ويتقدم نحو فريسته النائمة على سرير المشرحة في سلام وسكينة، مقيدة الرسغين والقدمين.
خطا بضع خطوات، فوجد معلول يقف في وضع راقص، كمن في مركب تصارع أمواجا عاتية ولا يجد ما يمسك به ليصلب طوله. لكنه يضحك ضحكة مجنونة بصوت عال. سرعان ما سمع ضحكة أكثر جنونا من جهة اليسار لماريو ، الذي كان يبدو أكثر تماسكا واستمتاعا ، والذي كان بدوره يمسك بمشرط، ويرسم به نجمة سداسية كبيرة على بطن فريسته، التي كانت تصرخ بلا صوت، وحتي إذا صرخت بصوت عال، لا يمكن سماعها من صوت ضحكة ماريو المليئة بطاقة تهدم مدينة.

أخيرا وصل اللواء إلى فريسته ، المستلقية مقيدة على سرير المشرحة، وكانت فتاة لا تتعدى ١٦ ربيعا، بشعر أحمر وجسم صغير أمعن اللواء، الذي كانت حواسه في أوجها ، النظر في الفتاة، فكان شعرها الأحمر، والنمش الذي يملأ جسدها العاري، على شكل نقاط حمراء صغيرة لافتا جدا. ما زال اللواء يحاول السيطرة على وقفته، نظرا لتمايل جميع عضلات جسمه مع الموسيقى، ولم يدر ماذا يفعل في فريسته، التي تنظر إليه نظره يمتزج فيها عدم المبالاة، الاستسلام، والرغبة في النوم ؛ أو على الأصح فقدان الوعي للخروج من هذا الكابوس.

شخص اللواء ببصره في القاعة ، فوجد عازف الجيتار يعزف بقوة على جيتاره الالكتروني الأسود . معلول وصل إلى فريسته أخيرا، ويمسك منشار كهربائي، ومنهمك في ضحك هيستيري، وتقطيع قطع صغيرة من لحم فريسته الممتلئة الجسم. لم يشعر اللواء

وهو يضحك ضحكات سعادة ونشوة، لم يضحك مثلها من قبل. هذا المخدر رائع، أريد المزيد المزيد ال ...لم يكمل، إنما وجد كأسا في يده اليسرى، به المزيج الأبيض ذاته. فجرعه في رشفة واحدة، وألقى بالكأس الفارغ وراءه .

حواس اللواء في أشد طاقاتها، عينه ترى الأشياء بوضوح، والألوان تشع نقاء، بالأخص الأحمر، الذي يتطاير حوله، وبنعامي منهمك في جلد الفتاه بوحشية ، بكرباج وعصا غليظة، والجميع يضحكون ضحكات مدوية معدية، تزيد وتتعالى عندما ينظرون لبعضهم . ماريو يقف كفنان موهوب، يرسم بالمشرط نجوما سداسية على كل بوصة في جسم فريسته

ما زالت فريسة اللواء ذات النمش والشعر الأحمر تنظر له، راجيه أن يريحها من هذا الكابوس الفظيع ، أو كما هيئ له، فقبض بكلتي يديه على رقبتها، وهو ينظر إلى أعلى، مغمض العينين، كمن يحلق من تأثير الطاقة والموسيقى والنجوم الساطعة حوله في كل مكان، والنشوة تفيض منه ، لتملأ بحور العالم مجتمعة .

رجع اللواء مرة أخرى إلى الأرض، على صوت زوما وهو يسأل:

– أين الناقلة يا لولو؟ لا أرى شيئا، ولا أفهم شيئا من الشاشة التي أمامي، وابتعدنا عن جزيرتنا. فلنعد أدراجنا ونخرج للقرصنة في ليلة أخرى.

قام اللواء من على كرسي القيادة بهدوء شديد، وفتح درجا صغيرا تحت شاشة الردار، ومد يده ليخرج منظار رؤية ليلية، وخرج

متثاقلا خارج غرفة القيادة، ووضع المنظار على عينه ونظر فيه، فرأى منظر يسر أي قرصان.. منظر أكبر ناقلة موارد طبيعية في العالم، على بعد أقل من خمس دقائق، ولا تراه على الردار، وحتى إذا رآه المراقبون على السطح، لن يشك أحد في هذا اليخت الأنيق أن يحمل قراصنة يضمرون الشر.

ناول اللواء زوما منظر الرؤية الليلية، وضربه بكفه على مؤخرة رأسه، وقال له

– انظر يا بهيم

فنفذ زوما الأمر، ورأى الناقلة قريبة جدا، فركع تحت قدم اللواء وقبلها ، وقال هو يبكي

– سامحني يا لولو أنا بهيم بهيم

رفسه اللواء بقدمه، وأمره بالذهاب والاستعداد مع رجاله للقفز على سطح الناقلة، بعد إشارة اللواء للسيطرة عليها. وأضاف اللواء:

– هل كلامي واضح يا بهيم؟أجاب زوما دون تأخير أو تفكير.

– وضوح الشمس يا لولو.

قفز زوما برشاقة أعجبت اللواء من قمرة القيادة إلى سطح جبار البحار لجمع رجاله. رجع اللواء إلى قمرة القيادة، ونظر إلى حارسه الطويل، وفتح درجا كبيرا بجانب عجلة القيادة، وأخرج بندقية قنص

مزودة بمنظار رؤية ليلية، وناولها للحارس، وخرج إلى خارج القمرة، وكانت تعليماته هي:

– يوجد على سطح الناقلة ٣ حراس أشداء ١ في المقدمة وآخر في المنتصف فوق قمرة القيادة وفي مؤخرة الناقلة يقبع حارس على مدفع مضاد لسفن القرصنة . أريدك أن ترديهم في الحال.

لم يضيع الحارس وقتا، ونفذ الأمر كأي قناص متمرس في ثوانٍ معدودة. اقترب جبار البحار ، بقيادة اللواء، بخفة من الناقلة العملاقة. وأشار لزوما بالهجوم. وفعلا ألقى زوما ورجاله بخطافات صغيرة مربوطة بحبل على سطح الناقلة، وتسلقوها بخفة يحسدون عليها.

في أقل من دقيقة، أطل زوما من على سطح أكبر ناقلة موارد طبيعية في العالم، حاملا في يده رأسا مقطوعا لأحد الحرس، معلنا سيطرته على الناقلة، ويدعو اللواء للصعود.

وطئت قدم اللواء الناقلة كقائد منتصر ، فوجد طاقم الناقلة راكعين على الأرض، وأيديهم فوق رءوسهم كأسرى الحرب. وزوما ورجاله حولهم شاهرين أسلحتهم

تقدم اللواء منهم، وسأل أين ضابط الاتصالات . فرفع أحد الأسرى يده في تردد وخوف. نظر اللواء إلى حارسه نظرة فهمها على الفور. وفي لمح البصر، كان يمسك الرجل من ملابسه، وتبع اللواء على درج يفضي إلى كابينة الاتصالات.

توقف اللواء في منتصف الدرج، كمن نسي شيئا مهما، ونظر إلى طاقم الناقلة ثم زوما، ووضع يده تحت رقبته وحركها. ففهم زوما الأمر على الفور، فأطلق الرصاص على الطاقم، وألقى بالجثث في الماء.

جلس اللواء أمام أجهزه الاتصالات المعقدة التي تعد الأحدث في العالم. ونظر لضابط الاتصالات، الذي يكاد أن يموت من فرط الرعب، وأمره بالاتصال بمعلول الثاني على الفور.

نفذ الرجل الأمر في الحال، وهو يتجنب النظر في عين اللواء المليئة بالطاقة الشريرة ، الكافية لتشغيل مفاعل نووي.

لم يستطع اللواء الجلوس في الكابينة حتى يتحقق الاتصال، من كمية الطاقة الموجودة داخل جسمه وعقله وروحه، فخرج إلى السطح، ونظر إلى القمر، الذي بدأ في الظهور على سطح الماء، مشكلا طريقا فضيا لامعا يقطع الأزرق.

رفع اللواء يده إلى أعلى، والطاقة تزيد مع صعود القمر، والطريق الفضي يأخذ في الاتساع واللمعان، وصرخ صرخة فزعت الكائنات البحرية ،قبل أن تفزع القراصنة:

– المجد لك يا سيد.. أنا عبدك المطيع.. أنا ولدك .. أشكرك على دعمك لي وثقتك في. أشكر عطاياك وهداياك. المجد لك يا سيد الكون.. المجد لك

وواصل الصراخ المرعب ...

كان الخادم الصغير مستعدا بسيجار لاتيني مشتعل، وهو يبلغ اللواء أن الاتصال قد تحقق، ومعلول الثاني على الخط. فعاد اللواء إلى كابينة الاتصالات، ونظر إلى الحارس ، الذي خرج من الكابينة ممسكا بضابط الاتصالات، وألقى به من السطح إلى أسماك القرش المتجمعة حول الناقلة، تستمتع بوليمة لم تكن على البال..

– معلول.. معلول المخبول .. هل تسمعني يا وغد؟

ضحك اللواء وهو ينفث دخان السيجار الاتينتي في استمتاع، وجاءه صوت مرتعش من الجانب الآخر:

– أسمعك.. من أنت؟ من يتكلم ؟ من من

لم يناديه أحد من قبل بمعلول المخبول سوى اللواء..

ضحك اللواء وهو يسترجع ذكرى إحدى الحفلات الماجنة في قصر اللواء، عندما تمكنت المخدرات والخمر من رأس معلول الثاني، وأخذ يرقص عاريا وفي يده صاجات، تحيطه الفتيات من كل جانب يصفقون له، وهو يتمايل كأحسن راقصة شرقية، ويغني أنا معلول المخبول شاب مهبول. حتى سقط على الأرض مغشيا عليه، وسقط اللواء من الضحك

– لواء! لواء! أهذا أنت يا لواء يا عظيم؟ أهذا لوائي المحبوب؟ صرخ معلول بدهشة، رد اللواء بهدوء:

– كيف حالك يا وغد؟

– أنا بخير يا لواء.. لقد كاد القلق عليك أن يقتلني يا أخي العزيز.

ضحك اللواء، وأضاف

- القلق.. صحيح القلق جعلك ترفض أن تعرض استضافتي كلاجيء سياسي، بعد أن عزلني الأطفال المغرر بهم.
- غير صحيح يا لواء أبدا.. لقد سألت ماريو، وأمرني أن ألزم الصمت وهو سيتصرف بمعرفته.. صدقني يا أخي أرجوك.

تعالت ضحكة اللواء المليئة بالطاقة الشريرة وأضاف.

- لقد ظن الجميع أني انتهيت، ولا جدوى من مساعدتي أو الوقوف بجانبي في هذه المحنة. يسعدني أن أبلغك يا معلول يا مخبول أن ناقلتك العملاقة، فخر تجارتك مع الغرب، ودرة استثماراتك في حوزتي الآن، مليئة بالموارد الطبيعية. وسوف تدفع ثمن خستك وحقاراتك غاليا يا معلول.

وأخذ اللواء في الضحك بصوت عالٍ، وأخرج مسدسه، وأطلق منه عيارين على جهاز الاتصال، فتصاعد منه دخان كثيف، امتزج مع دخان السيجار اللاتيني.

كان اللواء يجلس عاريا تماما في شرفة قصر الحكم في الجزيرة، في صباح جميل، ومزاجه رائق، معرضا جسمه الأبيض الممتلئ لآشعة الشمس ،التي تسللت من بين الأشجار الكثيفة التي تغطي الجزيرة، وأمامه مائدة مليئة بالأسماك والفواكه الطازجة. يأكل منها بشراهة، كمن لم ير طعاما من قبل، حتى سقطت بواقي الأكل على صدره العاري كثيف الشعر. يقف بجانبه خادمه الصغير، يملأ له كأس النبيذ كل دقيقة، ووراءهم يقف الحارس الطويل مدججا بالسلاح، على

استعداد للتعامل مع أي خطر يهدد سلامة اللواء. دخل زوما عليهم مبتسما، وركع أمام اللواء، وزعق بصوته الكوميدي:

– عمت صباحا يا لولو يا عظيم يا حكيم.

تجشأ اللواء بصوت عالٍ، حتى كادت محتويات المائدة أن تطير في الهواء، وعب كأس النبيذ في رشفة واحدة. وقام من مجلسه ومشي خطوتين إلى أول الشرفة، وتبول وهو يصدر أصوات تنم عن الراحة والاستمتاع.

عاد اللواء إلى مجلسه، واعتدل بمؤخرته الكبيرة على المقعد، وأخرج ريحا بصوت يشبه الرعد ورائحة قاتلة. لم يبد الحضور أي تأفف، حتى زوما ما زال راكعا تحت قدم اللواء، الذي مد قدمه، ووضعها على كرسي من القطيفة الحمراء، أعده له خادمه الصغير بعد أن ناوله السيجار اللاتيني، وكأسا جديدا.

– ما أخبار الناقلة والفدية يا زوما؟

قام زوما من على الأرض، ووقف أمام اللواء، ورأسه مطرق في الأرض وأجاب:

– لقد نفذنا جميع تعليماتك يا لواء.. لقد لغمنا الناقلة، وهناك طائرة في الطريق تحمل نقود الفدية بعملة الغرب. وأضاف زوما بفرح طفولي، لا يليق بقرصان مجرم عتيد في الإجرام مثله..

– لقد أصبحنا أغنياء بفضل قيادتك الحكيمة يا لولو

زغر له اللواء، ونهره قائلا:

– يا بهيم الفدية ستجعلني أنا.. أنا غني.. ليس أنت وأقاربك التعساء. أنا أتحكم في كل شيء هنا.. أنتم بدوني لا تسوون شيئا.. أنتم مجموعة من البهائم.

قال اللواء كلمته، وألقى الكأس في وجه زوما، الذي تفداه ببراعة يحسد عليها

– سامحني يا لولو ، لم أكن أقصد.. فأنت قائدنا سيدنا ملهمنا. اغفر لي غبائي يا لولو.. أتوسل إليك

وركع على الأرض ثانية اعتدل مزاج اللواء قليلا مع كأس جديد ملآن، وأشار بيده بأبوة حانية لزوما أن يقترب ويجلس على الأرض جانبه، لأنه يريد أن يستفسر منه عن شيء

– أنا لم أسألك يا زوما كيف احترفتم القرصنة.

سأل اللواء وهو ينفث دخان السيجار في وجه زوما، الذي أجاب وعلى وجه ابتسامته البريئة:

– نحن يا لولو منذ قديم الزمان صيادين مهرة، نعيش على الصيد وتبادل البضائع مع السفن التي تمر من أمام الجزيره. إلى أن جاءت منذ عدة سنوات ليست قليلة وليست بعيدة الحيتان الحديدية.

كتم اللواء الدخان داخل صدره، وأراح ظهره للوراء..

– أي حيتان تقصد يا زوما؟

لمح الكبت على ملامح زوما، وهو يجيب:

– حيتان حديدية كبيرة يا لولو.. سفن عملاقه سوداء تشبه الحيتان، تجوب الماء أمام سواحلنا، تفتح مقدمتها وتطبقها مثل الحوت، وتبتلع كل الأسماك والحيوانات البحرية الموجودة ، فلم يتبق شيء في الأزرق. وعندما حاولنا أن نخرج للصيد، أطلقوا علينا النيران، وأغرقوا مراكبنا الصغيرة.

و أضاف زوما..

– استمر هذا السلب لمدة طويلة، حتى لم نجد قوت يومنا، وهلك منا كثيرون، وهاجر آخرون لينجوا بأطفالهم الجوعى من هذه الجزيرة التعيسة.

عادت ملامح وجه زوما للبراءة، وأضاف:

– إلى أن رحلت الحيتان السوداء، دون أن تترك في الأزرق سمكة واحدة.

وضع اللواء السيجار اللاتيني جانبا، ونظر في الكأس الملآن في يده، وأدرك أن الحيتان الكبيرة ليسوا إلا بواخر عملاقة، تتبع شركة الصيد، التي يملكها السيد، واللواء شريك بها بنسبة كبيرة، وترك لها سواحل دولته المطلة على بحرين عظيمين، لتفرغهما من ثرواتهما السمكية، شهرين في الصيف وشهر في الشتاء، وأصدر قانون يجرم صيادي دولته في الخروج للصيد في هذه الشهور، بحجة الحفاظ على الزريعة السمكية والبيئة. وعندما يعود صيادو دولته للصيد ، لا يجدون ما يصطادونه، مما كان له أثر مدمر على دخل أسر هؤلاء

الصيادين، ودفعت الظروف والحاجة جزء كبير من أبنائهم الشباب اليافع للهجرة إلى الغرب، بطرق غير شرعية، مما أودى بحياة كثيرين غرقى وجوعي في البحر، وجزء آخر أختار أن ينضم للثوار، والإطاحة به وبحكمه.

– هل أنت معي يا لولو؟ هل أكمل أم مللت من حكاويّ؟

أفاق اللواء من ذكرياته، ورد على زوما ببرو:

– لقد فهمت.. تحولتم إلى قراصنة، لأن الصيد أصبح عسيرا.. أنا لست بهيما مثلك يا بهيم.

ورفس زوما برجله ، طاردا إياه من أمامه، لأنه يرغب في الدخول إلى غرفته، لالتهام عذراء جديدة، أحضرها خادمه الصغير هذا الصباح. وقف زوما على رجله، وهو يستعد للانصراف :

– كنت أريد أن أحكي لك عن الفتى المنقذ، الذي وضعنا على أول الطريق لاستعاده حقوقنا.

قالها زوما وهو منطلق نحو باب حديقة قصر الحكم. تسمر اللواء في مكانه، وتجمدت مؤخرته الكبيرة بين النهوض والقعود، وضغط على الكأس في يده، وتحولت عينه إلى جمرة نار مشتعلة، وزعق في زوما بصوت يصم الآذان..

– ارجع هنا يا بهيم.. أي فتى؟ أي منقذ؟ تكلم وإلا سحلتك.

عاد زوما من فوره، وجلس تحت قدم اللواء، وعلى وجه علامة بلهاء من هول الموقف، متجنبا النظر في عين اللواء الشريرة، وتحدث كأنه يحلم

– في اليوم الذي كان من تبقوا منا يستعدون للرحيل، على متن مركب متهالكة، ظهر في الخليج مركب أبيض صغير، لكن حديث. في أول الأمر تعجبنا كيف عرف مدخل الخليج، وكيف وصل إلى هنا..

ابتلع زوما لعابه وأكمل..

– نزل من على المركب، بكل ثقة وتواضع، فتى جميل المنظر، يلبس أبيض ، وعلى وسطه حزام أخضر، ويحمل على ظهره سيفا بتارا، بقبضة فضية، عليها نقوش غريبة، وفي صدره سلسلة لا تخطئها العين. كنا في حالة صدمة ودهشة، إلى أن نظرنا في عينه، فغمرتنا سكينة وإحساس بالأمان ،لم نعهده من قبل.

توجه الفتى من فوره إلى ابن عمي ومد يده مصافحا . كيف عرف أنه شجاعنا وزعيمنا. لا أحد يعلم كل هذا..

واللواء يستمع، والغل والحقد يملآن روحه، ويده تضغط على الكأس بعنف، ثم أضاف زوما:

– اجتمع الفتى بنا، وأوضح لنا أن قوى الشر تمتلك الحيتان السوداء، وتستخدمها لتدمير البسطاء في جميع أنحاء المعمورة، وهو سيساعدنا على الانتقام، والأهم إيجاد مصدر رزق لنا. ثم طلب من ابن عمي أن يجمع ١٢ رجلا من أشد سكان الجزيرة بائسا. ولم يكن معنا إلا سهام ورماح وبنادق بدائية، تطلق طلقة واحدة، لكنه أكد لنا أن المهمة التي نحن بصددها لا تحتاج إلا الشجاعة، والإيمان بعدالة قضيتنا، وهو شيء لم يكن ينقصنا. خرجنا في ظلمة الليل، على متن

مركبه الأبيض، لاصطياد سفينة بضائع، كانت تعبر قريبا من جزيرتنا. ونجحنا في السيطرة عليها، وألقينا بحارتها في الماء .

كانت روح اللواء تنسحب منها الطاقة، وقلبه يملؤه الحقد، ويشعر بضيق في التنفس. لكن غضبه كان يبقيه واعيا. ما زال زوما يحكي عن كيف وجدوا أسلحة وذخائر كثيرة على متن السفينة، التي كانت في طريقها إلى دولة في القارة السمراء ، ترزخ تحت حرب أهلية ضروس..

– و أخذنا يومين في عرض البحر على متن السفينة، نتدرب على السلاح الحديث وأعمال القرصنة، حتى أجدناها. وقبل أن يودعنا، أطلقنا عليه لقب الفتى المنقذ، وأعطانا أسماء الناقلات واليخوت الفاخرة، التي يجب أن نهاجمها ونسلبها، و مضى في طريقه بباقي شحنة الأسلحة، ليدعم أخوان له في مقاومة محتل غاشم.

لم يتمالك اللواء نفسه من الحقد والغيظ اللذان يسيطران عليه، منذ أن بدأ زوما في الحكي عن الفتى المنقذ. فقبض بقوة على الكأس الفارغة التي يحملها بيده، حتى انفجرت في قطع صغيرة، محدثة دويا هائلا. عندها انتفض زوما كمن لدغته عقرب، وفي نفس الوقت نظر الحارس الطويل والخادم الصغير بدهشة ممزوجة بغضب إلى يد اللواء التي تنزف بشدة من جراء كسر الكأس، فتبادلوا النظرات مع زوما، الذي صرخ في اللواء:

– إنك تنزف يا لولو.. تنزف دم.. دم

كررها زوما أكثر من مرة، كببغاء مدرب

أشاح اللواء، الذي ما زال غاضبا وحاقدا مما سمعه عن الفتى المنقذ، بيده السليمة، ونهر زوما:

– أغرب عن وجهي الآن.. إنه جرح صغير.

ونظر للخادم الصغير، منتظرا منه أن يتعامل مع الموقف ويهرع لإحضار إسعافات أولية. بدأ اللواء يشعر أن هناك شيئا غير مطمئن، عندما لم يتحرك الخادم الصغير. وزادت هواجسه عندما بدأ زوما في الصراخ بهيستيرية..

– لولو يترف دم ! لولو يترف دم!.. إنه إنسان.. إنسان ليس إلها كما اعتقدنا!.. إنه كبقية البشر، يترف ويتألم.

كان أهل الجزيرة قد بدأوا في التجمع أمام المترل، على صوت صراخ زوما، الذي انضم له الحارس والخادم، مشكلين جوقة عويل، صغيرة لكن مزعجة.

نهض اللواء، الذي اعتراه القلق، وأدرك أن الوقت تأخر للسيطرة على الموقف. وشعر برعب حقيقي يتملكه، ولم يجد حلا إلا الهرولة عاريا ناحية باب حديقة المترل، عسى أن ينجو بجلده.

كان اللواء يضغط بيده السليمة على الجرح، ودفع فتاة كانت تحمل الفاكهة إلى المترل، وحاول أن يشق طريقه وسط الجموع خارج المترل، عسي أن يقفز في الماء، ويسبح حتى جبار البحار. لكن انعدام لياقته وثقل جسمه لم يسمحا له بالابتعاد كثيرا، خاصة أن الجموع بدأت في إلقاء الحجارة والأخشاب عليه. وصرخ اللواء صرخة

مدوية، عندما شعر بسخونة وألم شديد في مؤخرته السمينة، فنظر خلفه ، فرأى ابتسامة كبيرة، مرسومة على وجه الحارس الطويل.

– سلامتك يا لواء، ألف لا بأس عليك. لقد طمأنا الطبيب أن مفعول الحقنة بدأ في التأثير.. من الواضح إنك بدأت تفيق يا لواء يا عظيم يا حكيم ..هل تسمعني؟ أنا خادمك وعبدك علوان يا لواء ..سلامتك يا لواء.

اللواء لا يشعر بشيء من حوله. أهذا علوان؟ أنا لا أراه ، لكن أسمع صوته من بعيد.. علوان خادمي! ما أتى به هنا على جزيرة القراصنة ؟ ما هذه الرائحة؟ رائحة عطرة ومنعشة، ممزوجة برائحة كحل طبي.. مؤخرتي تؤلمني

اللواء يسمع صوت.. صوت علوان يرن في أذنه، التي استعادت ببطء حاسه السمع. أخذ اللواء يشم الرائحة المنعشة، مستعيدا حاسة الشم، وحاول أن يفتح عينه، المفتوحة أصلا، وبدأ في النظر حوله، لكنه لم ير إلا خيال أفراد يقفون حوله.

كان اللواء مستلقيا على وجهه، يصرخ ويئن طوال الليل، مما حدا بعلوان استدعاء طبيبه الخاص، المقيم في القصر، الذي احتار فيما أصاب اللواء من خرف وتشنجات طوال الليل، وكان تشخيصه المبدئي حمى. لكن حال اللواء تحسن أخيرا ، بعد أن حقنه الطبيب في مؤخرته بمادة مهدئة ، أنهت صراخه وعويله، وبدأ يفيق بعد ساعات الليل الطويلة، التي كان يهذي فيها وهو مستلقٍ على وجهه بكلام غير مفهوم.

بدأ اللواء في تمييز الوجوه التي حوله ، بعد أن استجمع شيئا من قوته، واعتدل على ظهره بمساعدتهم..

– علوان خادمي الأمين، وفرج، والطبيب الخاص!

قالها اللواء بصوت مسموع، وشهد ابتسامة الراحة على وجوههم ، بعد أن كانوا متوترين للغاية طوال ليلة أمس.

هدأت روح اللواء ، عندما تعرف على ملامح غرفته في قصر الحكم، بأثاثها واللوحة الكبيرة المرسوم فيها اللواء، وهو بزي أمير البحار، يقف وهو يشير بيده اليسرى ناحية أسطول الأعداء المدمر، ويده اليمنى تمسك بمنظار مكبر

وضع اللواء قدميه على الأرض، وقام من على الفراش بصعوبة، لكنه رفض أن يساعده أحد. فقط كلمات علوان وفرج، معهم الطبيب الذين كانوا يهنئونه على السلامة من الوعكة التي ألمت به، واقلقتهم طوال الليل. كانت تشد من همته المكسورة.

دخل إلى الحمام الفاخر، وأفرغ مثانته، وهو يحفظ توازنه بصعوبة، وعيناه زائغتان، لكنه كان يشعر بتحسن نسبي من تأثير الحقنة.

– إنه كان كابوسا.. كنت واثق أنه كابوس. لقد أسرفت في أكل اللحوم أمس، قبل النوم مباشرة. من الآن وصاعدا سوف أعتمد على الفواكه الطازجة قبل النوم.

قالها اللواء وهو ما زال يفرغ مثانته المملوءة من زمن في الخارج. كان فرج وعلوان والطبيب في حالة فرح حقيقي بنجاة

اللواء، وأخذوا في مراقبته وهو يتبول، ويمجدونه بصوت عالٍ كلما ظنوا أنه فرغ.

- يا عظيم يا حكيم يا ظريف يا عطوف يا كبير..

وما يلبث أن يبدأ في التبول من جديد، فيتوقفوا.. وهكذا لمدة غير قصيرة. بدأ مزاج اللواء ونظره وطاقته في الارتفاع نسبيا، عندما دخل الحمام الفاخر فتاتان غاية في الجمال، والحسن والظرف بدون ملابس ،ساعدتاه على التخلص من ملابسه، وقادتاه إلى المغطس المليء بالماء الساخن الممزوج بالزيوت الطبيعية المنعشة. وأخذتا في تدليك كل جزء من جسمه، خاصة جزأه المفضل، مؤخرته السمينة. أيقن علوان أن حاسته في تشمم ما يحتاجه اللواء في التوقيت المناسب نجحت كالعادة، عندما بدأ اللواء في العبث في أجساد البنات والقهقهة بصوت عالٍ. عندها دخل عليه بالإفطار، ووضعه بجانب المغطس، وجلس على ركبته يمزج الشاي، القادم خصيصا من أواسط القارة الصفراء، المعروف أنه ينقي الدم، مع العسل النادر الذي يعيد الحيوية والشباب، وناوله للواء. خرجت الفتاتان، بعد أن أدتا مهمتهما على أكمل وجه ،ثم التفت اللواء، الذي عادت الدماء تجري في جسمه ووجهه، وفي الأغلب أنه نسي ما مر به البارحة إلى علوان، ونظر له نظرة فهم مغزاها على الفور، وتكلم علوان بصوت خفيض:

- اليوم يا لواء يا عظيم سوف تشرف حفل تخرج كليات الحرب السنوي.

نظر اللواء إلى سقف الحمام الفاخر، ولم يهتم بالرسومات البديعه لفتيات عاريات، يحملن آلات موسيقية، ويقبلن بعضهن البعض. ووضع فنجان الشاي على الرخام بجوار المغطس بهدوء، ونظر لعلوان

نظرة فيها خبث لم يره علوان منذ أحداث القرى الجنوبية، من أعوام طويلة يصعب تذكر عددها الآن.

– أطلب لي (أبو شنب) الآن .

أبو شنب!.. تساءل علوان في سره، وهو مندهش. يبدو أن الأمر جد خطير. نصرف علوان دون مناقشة، وذهب لإحضار (أبو شنب)، كما أمره سيده.

اتصل علوان بـــ (أبو شنب) من هاتفه المحمول، وأمره بأن يحضر إلى جناح اللواء في التو واللحظة، من مكتبه غير البعيد، في طرف حديقة قصر الحكم . وأخذ شريط الذكريات يمر أمام علوان ، عندما ثارت بعض قرى جنوب البلاد، وطالبت بعدالة توزيع ثروات البلاد، والاهتمام بهم وحقهم في الحصول على مياه شرب نظيفة، وعدم تهميشهم. وكان بينهم شاب، لا يتذكر علوان اسمه الآن، يحثهم على الثورة على نظام اللواء الفاسد، الذي أهمل البلاد وعين أقاربه في إدارة المنطقة، فاستولوا على الأراضي وظلموا العباد، وأذاقوهم الذل والهوان .

فأرسل اللواء (أبو شنب) على رأس فرقة من الجيش، لتأديب أهالي قرى الجنوب، الذين اقتحموا مبنى إدارة المنطقة، وقتلوا مديرها قريب اللواء والحاكم باسمه.

في أقل من ٢٤ ساعة، كان (أبو شنب) أتم مهمته بنجاح باهر..

أولا قبض على الشاب زعيم الثوار أو المتمردين الإرهابيين المموّلين من أعداء الوطن، كما زعمت آلة إعلام اللواء المقروءة

والمسموعة والمرئية، وربطه من قدمه في شاحنة، وطاف القرى، ساحلا جثة الشاب المسكين وراءه، حتى لم يتبق منها شيء. ولم يكتف، إنما وضع لمسته، التي أعجبت اللواء، وكافأه عليها. بأن جمع رجال وشباب قرى الجنوب، وقيدهم في الملعب الرياضي، وأجبر عائلاتهم أن يجلسوا في المدرجات، ويشاهدوا الدبابات وهي تمر عليهم وتسويهم بالأرض

كانت مجزرة يشيب لها الوليد في بطن أمه. لكن العجيب في الأمر أن العالم كله أغمض الطرف، ولم يحرك ساكنا حتى لشجب هذه المذبحة البشعة، التي أزهقت أرواح الآلاف من أهالي قرى الجنوب، التي ينتمي لإحداها اللواء نفسه. لكن هذا لم يشفع لهؤلاء المساكين.

ما زال اللواء في المغطس الساخن المنشط والمريح للأعصاب، سرحان في السقف، إلى أن دخل (أبو شنب) عليه بصحبة علوان. مد اللواء يده ، فلثمها (أبو شنب) بولاء حقيقي.

نظر اللواء إلى الشنب الغليظ، الذي يملأ الوجه الأسمر تحت أنف أفطس، والعينين الحمراوين دائريتين، والشعر المجعد الأسود كالفحم. جلس (أبو شنب)، بجواره علوان على ركبهم، على الرخام بجانب مغطس اللواء. نظر اللواء في عين (أبو شنب) الخالية من أي أحساس إلا الولاء التام لسيده.

– أريدك أن تعدم الدفعة الجديدة لكلية الحرب عن بكرة أبيها يا ولدي . لقد وردت لي معلومات أكيدة أنهم ينوون قتلي اليوم. وابتسم اللواء ابتسامة ودودة، وسأل (أبو شنب)

– هل يرضيك ذلك؟ و طبعا قائد كلية الحرب ووزير الحرب متورطان مع هؤلاء الخونة، الذين يريدون هدم الدولة وزعزعة

الاستقرار . لن أذهب اليوم إلى حفل التخرج، لكن علوان سيسير في الإجراءت المعتادة ،كأني حاضر الحفل، حتى لا يشك أحد الخونة في الأمر. موكبي سيتحرك في ميعاده، الحرس سيكون حاضرا لتأمين المكان.. وسأترك الباقي لخيالك في التنفيذ. أنا كلي ثقة في عبقريتك وولائك يا ولدي. هل الأمر واضح؟

سأل اللواء (أبو شنب) الذي هز رأسه بدون أن يظهر أي أحساس في عينيه. أشاح اللواء بيده ، علامة على أن يذهب الجميع إلى أشغالهم. ونظر إلى فرج ، الذي كان يقف بجوار المغطس ، ممسكا البرنس الذي لف اللواء نفسه فيه، عندما خطا خارج المغطس، في حالة مزاجية رائعة، وطاقة شريرة جبارة بدأت في التصاعد داخل روحه، في الدقيقة التي أمر فيها بذبح شباب في عمر الورد .

تقدم اللواء، وجلس ليكمل إفطاره على مقعده الوثير، أمام الشرفة المطلة على الحديقة الغناء، مستمتعا بالجو الصحو، بعد أن فتح فرج الستائر والباب المؤدي إلى الشرفة ، ليدخل النسيم العليل، ثم غادر الجناح.

لم تمض دقائق، حتى سمع اللواء من خلفه باب الجناح يفتح . فلم يهتم اللواء، لأنه يعرف أنه علوان قد عاد ، بعد أن نفذ التعليمات، و يقف وراءه مستعدا لتلبيه رغباته في أي لحظة. وفعلا كان يشعر بالعطش، فرفع يده اليسرى مناديا علوان، الذي لم يأت. صفق اللواء، عسى أن يكون علوان مشغولا بترتيب الفراش، لكن لا إجابة.

- يا بهيم ألا تسمعني؟.. أنا أنادي عليك

الآن سمع اللواء علوان، لكن صوته كان ضعيفا يشبه الحشرجة.

نهض اللواء، والتفت إلى الصوت، بدون أن يهتم بالبرنس المفتوح، الذي يظهر كرشه السمين و أعضائه. في نفس اللحظة التي كان علوان يقف، واضعا يده اليمنى على صدره، ووجهه يحمل علامات الذعر والألم، وينظر للواء نظرة استغاثة واستجداء كان (أبو شنب) يمسك بفخده من فوق الركبة مباشرة، بعد أن قطع سيف بتار أحد رجليه تماما، وتركه في الردهة المؤدية لجناح اللواء ، جالسا على مقعد، يحاول إيقاف النزيف، ويتألم في صمت. وبحركة رشيقة، قطع يد فرج ، أسرع من يخرج مسدسه ويطلق النار بدقه في الدولة، وتركه ليترنح بجسمه الضخم على حوائط الردهة، ناثرا دماءه على اللوحات التي تحمل صور اللواء بجميع أزياء الحرب ، من طيران وصاعقة وخلافه، حتى زي قوات الإطفاء كان له نصيب في اللوحات. لم يفهم اللواء المشهد في أول الأمر، لكنه شعر بذعر هو أيضا، عندما لاحظ الدماء تخرج من فم علوان بغزارة، وعندما نزع يده من على صدره ،كانت مخضبة بالدماء ، ثم هوى بطوله الفارع على الأرض.صرخ اللواء بصوت مكتوم..

- فرج فرج

حتى انفتح باب الجناح بجزئيه، لكن القادم لم يكن فرج.. كان الفتى المنقذ، أو الفتى المنفي كما يدعوه اللواء، يلبس أبيض بحزام أخضر على وسطه، ويحمل سيفا بقبضة فضية في يده اليمنى، وعلى وجهه نور وابتسامة ثقة.

شعر اللواء أن الطاقة تنسحب منه، ويكاد يغشى عليه من فرط الخوف والرعب. وبدأ كل جسمه في الارتعاش، عندما نظر إلى السلسلة التي على صدر الفتى المنقذ، التي مكتوب عليها الشهداء. لم يعرف اللواء كيف يتصرف. مرت في رأسه عشرات، بل مئات الأفكار. هل يستدعي السيد؟ هل ينادي ماريو لإنقاذه ؟ هل يعرض على الفتى مشاركته الحكم ، أو حتى التخلي له عن الحكم والقصر والأموال وكل ما يملك.. هل يجري ناحية الفراش لجلب مسدسه الذهبي سريع الطلقات، الموجود دائما تحت وسادته؟

هل؟..

كل هذه الأسئلة كانت مثل عطشان يشرب من زجاجة فارغة. في نفس اللحظة، كان الفتى يسدد طعنة قوية بسيفه البتار إلى صدر اللواء، اخترقت قلبه مباشرة، وخرجت من ظهره. تدفق الدم كالنافورة على وجه وملابس الفتى البيضاء. تراجع اللواء بجسمه الثقيل إلى الوراء متألما، وحاول جاهدا أن يستند على أي شيء، حتى لا يقع على الأرض، فلم يجد غير الستائر الحريرية، التي تغطي باب الشرفة، فحاول التشبث بها، فلم تحتمل ثقل جسمه، فأخذته وسقطت من الشرفة إلى الحديقة، التي تملؤها الكلاب الجائعة، المدربة على افتراس من يقع من الشرفة.

خاتمة

بعد سنوات قليلة من مصرع اللواء، وسقوط نظامه المستبد، ونجاح مجموعة من شباب الضباط من تحقيق جزء كبير من أهداف ثورتهم. كان أحدهم على رأس وفد في عاصمه الغرب الجديدة، للقاء وزير المعونات الخارجية ، لمناقشة بعض المواضيع الشائكة ، المتعلقة بقطع المعونة التي تحصل عليها الدولة من الغرب، ولا تستطيع الاستغناء عنها بين ليلة وضحاها .

هذا الضابط الشاب، كان ماريو في انتظاره أمام الباب الخلفي للفندق المقيم فيه، ودعاه للركوب معه في سيارة سوداء فارهة .

تمت

مرسى علم.. فبراير